منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي
في تجديد الدرس العَقَدِيِّ

تأليف
د . محمد علي أبو هندي السيد
أستاذ العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة المساعد
قسم أصول الدين كلية الشريعة وأصول الدين جامعة نجران

هذا بحث بعنوان

منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في تجديد الدرس العَقَدِيِّ. وخطته في التقسيم والتبويب فقد جاءت في أربعة مباحث كل مبحث يتكون من عدة مطالب، على الوجه التالي:

المبحث الأول:

ترجمة الشيخ الدكتور مصطفى حلمي ومؤلفاته والشخصيات المؤثرة في حياته العلمية ودوافعه لتجديد

الدرس العَقَدِيِّ.

المطلب الأول: ترجمة الشيخ، وأثر الاتجاهات الفكرية في مصر في توجهاته العلمية.

المطلب الثاني: دوافع الشيخ لتجديد الدرس العَقَدِيِّ.

المطلب الثالث: جهوده العلمية (مؤلفاته)

المبحث الثاني:الأصول المنهجية لتجديد الدرس العَقَدِيِّ لدي الشيخ الدكتور مصطفى حلمي.

المطلب الأول: أصل المنهج الاعتقادي هو العقيدة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ والصحابة.

المطلب الثاني: دور الشيخ مصطفى حلمي في التقعيد لمنهج أهل السنة والجماعة في الدرس العَقَدِيِّ المعاصر.

المبحث الثالث: منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في تجديد دراسة (علم الكلام).

المطلب الأول:تجديد البيان في التفرقة بين النظر العقلي بمعناه الشرعي، والجدل الكلامي.

المطلب الثاني: منهجية التجديد في تدريس الفرق الكلامية لدى الشيخ الدكتور مصطفى حلمي.

المبحث الرابع: منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في تجديد الدرس العَقَدِيِّ في تدريس التصوف.

المطلب الأول: ملامح الدراسات الصوفية في النصف الثاني من القرن العشرين، وأثرها في الدرس العَقَدِيِّ.

المطلب الثاني: منهج البحث في قضايا التصوف لدى الشيخ مصطفى حلمي.

المطلب الثالث: عصر النبوة والصحابة إطارًا مرجعيًا للاتباع والاقتداء.

Searching title

method of Sheikh of the doctor Mustafa helme raved mammillary in renewal the contractual lesson Wrote him in the division and the classification losing four topics came in all topic several claimant is :formed from, on the next face

The first topic: Translation Sheikh of the doctor Mustafa is mammillary and his authors and the influential personalities in live his .scientific and propelling his for contractual renewal the lesson

:The first request*

Translation of Sheikh, and the favored directions intellectual in .Egypt in his directions scientific

:The second request*

.Propelling Sheikh for renewal the contractual lesson

:The third request*

His scientific efforts (his authors) the topic second: The methodical origins for contractual renewal the lesson at Sheikh of the doctor .Mustafa is mamillary

The second topic method the beliefs he the Islamic belief

:The first request*

Peace be upon him arrives the method the beliefs he the Islamic .belief in era of the messenger and the friends

:**The second request***

Sheikh of Mustafa turned mammillary in aaltqe'yd for method

.family of Sunnis and the contractual group in the lesson contemporary

<u>The topic third</u>: Method Sheikh of the doctor Mustafa mamillary in

.(renewal studious (flag of the talk

The first request: Renewal of alpine in the separation between the *****

sight intellectual in meaning his the Islamic laws, and the verbal

.argument

The second request: The methodical renewal in teaching the *****

.verbal groups enemy Sheikh of the doctor Mustafa is mamillary

<u>The topic fourth</u>: Method Sheikh of the doctor Mustafa mamillary

.in renewal the contractual lesson in teaching of the Sufism

The first request: Studious features the second Sufi in the half of *****

.horned the twenty, and favored her in the contractual lesson

The second request: Enemy method of the searching in cases of *****

.the Sufism Sheikh of Mustafa is mammillary

The third request: The prophecy and the friends squeezed *****

.referential frames for the observance and the imitating

مقدمة

الحمد لله فاتحةِ كلِّ خير، وتمام كلِّ نعمة، والصلاةُ والسلام على أشرف الخلق والمرسَلين، نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، أما بعدُ:

فتأتي هذه الدراسة تجديدًا لدور أقسام العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة في تحليل مشكلات الدرس العَقَدِيِّ المعاصر، وإيجاد الطُرق المنهجية لتطويرها، على مستوى البيان، والتقعيد، وذلك من خلال جهود علماء العقيدة المعاصرين الذين لهم دور أو أثر في الدراسات العقائدية المعاصرة.

ولأن مصلحة الأُمة تقتضي الاهتمام بالجديد في تطوير الدرس العَقَدِيِّ المعاصر، والاهتمام بمشكلاته وقضاياه، وواجبنا بوصفنا متخصصين في العقيدة الإسلامية، والمذاهب المعاصرة، أن نربط جهودنا البحثية بالقضايا المستجدة، والدراسات الحديثة في العقيدة الإسلامية، وكيفية تناولها لقضايا العقيدة، ومعالجتها بأسلوب مغاير متطور.

هذا، وإن طغيان الآراء العقائدية المنحرفة في العصر الحالي من ظهور نزعات الإلحاد، وغلو القائلين بالحلول والاتحاد، وانبعاث فكر الخوارج، وتكفير جمهور المسلمين، والحكم بقتالهم، مما يمثل تحديًا فكريًا يتطلب تجديد الدرس العَقَدِيِّ المعاصر، وتكوين الجانب الإيماني بطريقة تسهم في التربية العقائدية السليمة للفرد والمجتمع، وهذا لا يتأتي إلا بمنهجية وتطوير الدرس العَقَدِيِّ المعاصر؛ لأن الشبهات تتغير بتغير العصور والأزمان، من ثم كانت دراسة جهود ومناهج العلماء المعاصرين في هذا المجال على درجة مهمة جدًا في المعالجة القَبلية، والمقاومة البَعدية لتيارات الغلو الديني بكافة أنواعه، ولتصحيح المفاهيم وتصويب الأخطاء.

ومما دفعني لاختيار هذا البحث قلة الاهتمام بجهود العلماء المعاصرين في

مجال تجديد الدرس العَقَدِيّ المعاصر، لهذا فإني أهدف إلى محاولة التنظير، أو التأطير(القالب أو النظرية، أو المنهج) لكيفية تناول جهود المعاصرين في مجال منهج التجديد للدرس العَقَدِيّ المعاصر، من حيث المفاهيم، والمقومات، والمرتكزات، من خلال الشخصية نموذج الدراسة.

وكذلك تهدف هذه الدراسة إلى عدم الاكتفاء في الدرس العَقَدِيّ بمجرد الوعظ، والإلقاء والتلقين بالاعتماد على كتب الأمالي والحواشي والشروح القديمة، إلى التقعيد والنقد والتحليل والتأطير، وكذلك عدم الاكتفاء بالردود السجالية الوعظية على الدعاوى المخالفة إلى مراحل الأطروحات، والمنهجة الإسلامية، بمعنى عدم الاكتفاء بمجرد القبول أو الرفض لعقيدة أو لفكرة أو رأيٍ ما، سواء أكانت خطأً أم صوابًا؛ بل النقد التحليلي وعرض المنهج الإسلامي في القضايا والمسائل محل الخلاف.

وتأتي هذه الدراسة إيمانًا بدور الدراسات العقائدية المعاصرة في المساهمة في تطوير الدرس العَقَدِيّ المعاصر، من خلال دراسة أحد أعلام علماء العقيدة المجددين في طريقة تدريس العقيدة الإسلامية، وما يرتبط بها من موضوعات، وهو الشيخ الأستاذ الدكتور/ مصطفى حلمي.

الذي يعد من كبار علماء العقيدة المجددين المعاصرين في مصر من حيث: أثره في الدرس العَقَدِيّ المعاصر في الجامعة المصرية، وحضوره التعليمي الثقافي والدعوي في الساحة الفكرية المعاصرة، ومشروعه الفكري المرتكز على تجديد التناول للدرس العَقَدِيّ على مستوى الدرس والغرس- المحور الرئيس لجهوده هو التقعيد والتأطير لمنهج السلف على مستوى العقيدة والأخلاق والموقف من الفلسفة الغربية.

وهذا ليس معناه خلو الساحة التعليمية والفكرية المعاصرة من علماء آخرين لهم

جهودهم في تجديد الدرس العَقَدِيِّ المعاصر، ولكن جاء اختياره، لعدم وجود دراسة سابقة عنه، ولبيان جهوده ومنهجه في تجديد الدرس العَقَدِيِّ، ولأنه وجد في زمان ومكان تطورت فيه الدراسات العقائدية في الجامعة المصرية، حيث تزاحمت الدراسات الصوفية والكلامية والفلسفية، في الساحات التعليمية الجامعية.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تعدد مناهجها: فقد استخدمت المنهج الوصفي في بيان منهج الشيخ، ثم المنهج التحليلي لأقواله بتحليلها من خلال النسق الفكري الذي تنتمي إليه، ومحللًا لعناصرها وأسسها، مع البحث عن أصولها ودور الشيخ في تجديدها.

واستخدمت المنهج النقدي الذي لا يكتفي بالتسليم المجرد، وإنما يناقش ويقوِّم، وينقد ويتبنى ويرفض؛ للوصول إلى أرجح الأقوال المدعمة بالأدلة والأَوْلى بالقبول.

والمنهج المقارن له دور أساسي مع التحليل والنقد، فقد حاولت من خلاله بيان أوجه التشابه أو الاختلاف بين طريقة الدرس العَقَدِيِّ التقليدي، والطريقة الجديدة في الدرس الجامعي الأكاديمي، مع بيان علاقة التأثير والتأثر في منهجية الشيخ وآراءه.

والمنهج التركيبي بالتأليف بين العناصر التي تم تحليلها، للكشف عن الأسباب التي أدت إلى وجودها، والعلاقات بينها، والنتائج المترتبة عليها والثابت البنيوي فيها.

وأما خطة البحث وطريقته في التقسيم والتبويب فقد جاءت في أربعة مباحث كل مبحث يتكون من عدة مطالب، على الوجه التالي:

المبحث الأول: ترجمة الشيخ الدكتور مصطفى حلمي ومؤلفاته والشخصيات المؤثرة في حياته العلمية ودوافعه لتجديد الدرس العَقَدِيِّ.

المطلب الأول: ترجمة الشيخ، وأثر الاتجاهات الفكرية في مصر في توجهاته

العلمية.

المطلب الثاني: دوافع الشيخ لتجديد الدرس العَقَدِيِّ.

المطلب الثالث: جهوده العلمية (مؤلفاته)

المبحث الثاني:الأصول المنهجية لتجديد الدرس العَقَدِيِّ لدي الشيخ الدكتور مصطفى حلمي.

المطلب الأول: أصل المنهج الاعتقادي هو العقيدة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ والصحابة.

المطلب الثاني: دور الشيخ مصطفى حلمي في التقعيد لمنهج أهل السنة والجماعة في الدرس العَقَدِيِّ المعاصر.

المبحث الثالث: منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في تجديد دراسة (علم الكلام).

المطلب الأول:تجديد البيان في التفرقة بين النظر العقلي بمعناه الشرعي، والجدل الكلامي.

المطلب الثاني: منهجية التجديد في تدريس الفرق الكلامية لدى الشيخ الدكتور مصطفى حلمي.

المبحث الرابع: منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في تجديد الدرس العَقَدِيِّ في تدريس التصوف.

المطلب الأول: ملامح الدراسات الصوفية في النصف الثاني من القرن العشرين، وأثرها في الدرس العَقَدِيِّ.

المطلب الثاني: منهج البحث في قضايا التصوف لدى الشيخ مصطفى حلمي.

المطلب الثالث: عصر النبوة والصحابة إطارًا مرجعيًا للاتباع والاقتداء.

المبحث الأول

ترجمة الشيخ الدكتور مصطفى حلمي، ومؤلفاته والشخصيات المؤثرة في حياته العلمية ودوافعه لتجديد الدرس العَقَدِيِّ.

المطلب الأول: ترجمة الشيخ، وأثر الاتجاهات الفكرية في مصر في توجهاته العلمية.

أولًا: ترجمته:

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ مصطفى محمد حلمي سليمان، ولد عام (١٣٥١ه، ١٩٣٢م) وحصل على ليسانس الآداب من قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية من جامعة الإسكندرية، عام (١٣٧٩ه، ١٩٦٠م) ثم نال درجة الماجستير من الكلية نفسها عام (١٩٦٧م) عن موضوع: (نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة)[١] بإشراف د. علي سامي النشار(١٩١٨-١٩٨٠م) و ناقشه فيها د. محمود قاسم، مناقشًا خارجيًا، ود. محمد علي أبوريان. مناقشًا داخليًا،، ثم الدكتوراه في الآداب من الجامعة نفسها عام (١٣٩١ه، ١٩٧٠م) عن موضوع (موقف المدرسة السلفية من التصوف منذ بدايته حتى العصر الحديث)، بإشراف د. علي سامي النشار، وناقشه فيها فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الدكتور/ محمد عبدالرحمن بيصار (١٩١٠-١٩٨٢م) و د. محمد رشاد سالم (١٩٢٧-١٩٨٦م)، وفي عام (١٩٧١م) عُين مدرسًا للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، أُعير لأكثر من جامعة إسلامية، فعمل بجامعة الرياض (الملك سعود حاليًا) من عام (١٩٧٢م، حتى عام ١٩٨٠م)، ثم الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان عام (١٩٨٦م حتى ١٩٨٧م)، ثم جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام (١٩٨٧م حتى ١٩٩٢م)[٢] ثم عاد للتدريس

(١) نوقشت عام ١٩٦٧م، وطبعت عام ١٩٧٨م، بالقاهرة، وفي دار المؤيد، بالرياض، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.

(٢) استفدت في ترجمة الشيخ الدكتور مصطفى حلمي من عدة مصادر هي: ١-معرفتي المباشرة بالشيخ. =

بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، إلى الآن.

ثانيًا: أثر الاتجاهات الفكرية في مصر في توجهاته العلمية.

عاش فضيلته حياته العلمية طالبًا بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية (أُنشئت عام ١٩٣٨م) في بداية النصف الأول من القرن العشرين، وقد تأثر بكثير من العلماء في مختلف التخصصات، ومن الشخصيات التي أثرت في حياته الفكرية والعلمية، ومنهم:

١- كان الأستاذ الدكتور على سامي النشار من أكثر المؤثرين في التوجهات العلمية لدى الشيخ مصطفى حلمي، كما أشار إلى ذلك في مواضع كثيرة من مؤلفاته، حيث يصفه بـــ (أستاذنا النشار)(١)، وقد كان مشرفه في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وقد كان للأستاذ النشار جهوده في الدراسات العَقَدِيِّة خلال النصف الثاني من القرن العشرين؛ من خلال موسوعته: (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام)(٢)، وقد كان للنشار أثره القوى في الشيخ مصطفى حلمي، خاصة في المسائل المرتبطة بالتأريخ لمنهج الاعتقاد، والزهد لدى أهل السنة والجماعة في العصر الأول.(٣)

٢-د. محمد ثابت الفندي: أستاذ الفلسفة والمنطق جامعة الأسكندرية.

٣-د. أحمد عزت راجح، أستاذ علم النفس بجامعة الأسكندرية (ت ١٩٩٩م) وهو من كبار علماء النفس في العالم العربي في التاريخ المعاصر.

= ٢- ترجمة الشيخ: محمد أحمد إسماعيل المقدم، له في تقديمه لكتاب (قواعد المنهج السلفي للفكر الإسلامي) ط٣، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٥م.٣-موقع جائزة الملك فيصل، على الشبكة العنكبوتية. ٤- دراسة بعنوان: (مصطفى حلمي بعث وتجديد السلفية فلسفيًا) للكاتب/ حسام تمام.

(١) راجع: مثلًا؛ د. مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف ص ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٢٣ .

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ط٨، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٦م، ثلاثة مجلدات (الأول: الفكر الفلسفي والكلامي، والثاني نشأة التشيع وتطوره. والثالث: الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين).

(٣) السابق: الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين، الجزء الثالث.

٤- د. عبدالحميد صبرة (١٩٢٤- ٢٠١٣م): أستاذ تاريخ العلوم عند العرب، و هو من كبار مؤرخي الحياة العلمية عند العرب، وأثرها في النهضة العلمية بالغرب.

٥-الشيخ: محمد رشاد غانم: (١٩١٦-١٩٩٢م) وهو من المشايخ الذين تأثر بهم د. مصطفي حلمي، خارج إطار الحياة الجامعية، وهو من أكثر المؤثرين في شخصيته العلمية، خاصة ما يرتبط بمنهج أهل السنة والجماعة، وما يرتبط بها من مؤلفات علمية نادرة لم تكن شائعة في منتصف القرن العشرين.

ولم أعنون للعنوان الفرعي لهذه المسألة بالقول (أساتذته وشيوخه) كما جرت عادة المتقدمين في التراجم؛ لأن التعليم الجامعي لا يتيح فرصة الاختيار المطلق للأساتذة، أو مشايخ العلم في التخصص كما هي عادة التعليم الحُر قبل ظهور التعليم الجامعي أو المدرسي المعاصر، فكانت عادة القدماء في طلب العلم، التنقل بين المشايخ في العلوم الإسلامية المختلفة، مع الاهتمام بعلم معين، فيتعلم العلوم التأسيسية مثل علوم اللغة العربية، ومقدمات أو متون العلوم، ويتدرج في علم معين من العلوم.

وقد تأثر الشيخ مصطفى حلمي بالمؤلفات التي كانت في مجال العقيدة أكثر من تأثره بتوجهات اساتذته في العلوم الفلسفية والاجتماعية، بل إن مرجعية إبداعه في التقعيد والرد التحليلي على المتكلمين والفلاسفة وغيرهم، تكمن في أنه جمع بين ثقافة الدراسة الجامعية في قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، و الإطلاع على مؤلفات العلماء الأوائل في العقيدة الإسلامية، فوفقه الله إلى تغليب منهج أهل السنة والجماعة واستخدام ثقافته في بيان وتحليل أقوال المخالفين والرد عليها، مع بيان الطرح الإسلامي الصحيح في القضايا محل الخلاف، وهو ما تجلى في رسالتيه؛ الماجستير والدكتوراه، ومؤلفاته التي بعد ذلك.

فلم يقتصر الشيخ على معطيات التعليم الجامعي في (قسم العلوم الفلسفية

والاجتماعية بجامعة الإسكندرية) بل كانت جهود علماء العقيدة المصريين في (التحقيق، والتأليف، والنشر) خلال القرن العشرين في مصر لها أثر كبير على الشيخ، خاصة أنه نضج فيما وسمه العلامة المحقق: محمود الطناحي بـــ (بمرحلة الناشرين النابهين: ومنهم؛ محمد حامد الفقي، ومحمد محيي الدين عبدالحميد)[1]وكذلك مرحلة (الأفذاذ من الرجال: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، وعبدالسلام هارون)[2]، وهذا خاصة بعد تطور أساليب الطباعة وانتشار الجرائد والمكتبات، حيث تم نشر وتحقيق عدد كبير من مؤلفات علماء الإسلام في مجال العقيدة الإسلامية، ومن تلك الجهود:تحقيقات ومؤلفات الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا[3]، وتحقيقات الشيخ محمود حامد الفقي لكثير من مؤلفات علماء السلف[4].

هذا إلى جانب اهتمام الشيخ بتراث علماء العقيدة خلال التاريخ الإسلامي، كما

---

(١) د. محمود الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف ص ٥٨، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥ه، ١٩٨٥م

(٢) السابق: ص ٩٠

(٣) مثل تحقيقه: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية- طبعة مصر- ١٣٤١ه، ١٩٣٢م.

(٤) مثل تحقيقه: (كتاب النبوات لابن تيمية)، ط١، القاهرة، ١٣٨٦ه، ١٩٤٦م.

- شذرات البلاتين من طيبات كلام سلفنا الصالحين، لابن تيمية، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥ه، ١٩٥٦م، وهو يشمل عدة كتب منها: (التدمرية، الفتوى الحموية الكبرى، الحسنة والسيئة وموقف العبد عندهما، شرع الإسلام في الفرق بين الحلال والحرام..)

- رأس الحسين رضي الله عنه ويليه الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم، لابن تيمية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٨ه، ١٩٤٩م-رد الدارمي على بشر المريسي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٥٨ه.

- مدارج السالكين لابن القيم، ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢ه، ١٩٧٢م.

- طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى(ت ٥٢٧ه)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، د.ت.

هو واضح من خلال مؤلفاته، مثل إمام الحرمين الجويني، وابن تيمية وغيرهم، فقد كان من جهوده العلمية تحقيق كتاب (غياث الأمم في التياث الظُلم) لإمام الحرمين الجويني، وقد كان من المرتكزات المهمة في منهج التجديد لدي الشيخ منهج ابن تيمية في بيان وعرض عقيدة أهل السنة والجماعة، والاستدلال عليها أثر كبير في التوجهات التجديدية لدى الشيخ مصطفى حلمي، حيث يؤكد أن الانجذاب نحو ابن تيمية ليس تقديسًا لشخصه أو قولًا بعصمته، فالبشر كلهم إلى فناء، بل ما يجذب إليه: (الوحدة المنهجية والتناسق بين تفسيراته الميتافيزيقة، والطبيعية والأخلاقية والسياسية والمنطقية)(١)

ومن أسباب اهتمامه بتراث ابن تيمية (الإشعاع الفكري لعقل متعدد المواهب، أوتي من الإمكانيات وغذي بالعقل الدائب، فتمكن من الرؤية الإسلامية الواضحة التي تنير الطريق لكل مسلم يعيش في وقت ضعف المسلمين، وتكالب الأعداء عليهم- كما نحن الآن- فأرشدنا إلى الموقف الصحيح وسط أضابير الخلافات المذهبية؛ منها العقيدة وفقًا لمنهج السلف، وبيان أساس التوحيد الإسلامي، ومسائل الفقه على اختلاف فروعها)(٢)

وترجع الأهمية المنهجية لمنهج ابن تيمية في دراسة العقيدة، وشرحها وبيانها، في تجديد الدرس العَقَدِيِّ المعاصر لدى الشيخ مصطفى حلمي، إلى المحاور الآتية:

١-إن منهجية ابن تيمية لا تقتصر على عصره فقط، بقدر ما تتصل بالظروف المشابهة التي تتكرر على وتيرة واحدة، ونعني بذلك غربة الإسلام، وترجع جِدة أفكاره إلى ظهوره في عصر متأخر كانت الانشقاقات قد حدثت، وجهلت الغالبية الاتجاه السلفي وسط تراكمات الفكر الفلسفي، والتأويل الكلامي، والشطح الصوفي،

(١) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٢٧

(٢) السابق: ص ٢٥

حتى ظن غالبية المسلمين أنها هي الإسلام، كما أثيرت أيضًا مشاكل لا يزال العالم الإسلامي يعاني منها حتى اليوم، وإن اختلفت المظاهر.[١]

٢-بيانه اتفاق الأدلة الشرعية مع الأدلة العقلية، فالحق ما ورد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وقد بين (ابن تيمية) خطأ أصحاب النظر العقلى من فلاسفة ومتكلمين، عندما قدموا النظر العقلي على الدليل الشرعي، وكل من خالف صحيح المنقول، فقد خالف أيضًا صريح المعقول، وكان بمنزلة من قال الله تعالى فيه:﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠)

٣- إن في القرآن والسنة كل مسائل أصول الدين ومسائلها ودلائلها، وما يستحق أن يكون منها؛ كمسائل (التوحيد، والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد..)[٢]

٤-القاعدة المنهجية الأساسية لدى ابن تيمية في فهم الإسلام وتلقيه، هي فهم السلف رضوان الله عليهم؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بالفرق بين الحق والباطل، وأعظم محبة للحق الذي أرسل به محمد ﷺ، وأصبر على متابعة الحق واحتمال الأذي، وأكثر اتحادًا وأُلفة لبعضهم البعض ممن جاء بعدهم[٣].

كانت اجتهادات ابن تيمية وشروحه للعقيدة من محاور أو مرتكزات منهج تجديد دراسة العقيدة في مؤلفات الشيخ مصطفى حلمي، لأن ابن تيمية يتميز بـــ: (تأصيله لمناهج شرعية للدفاع عنها لصد موجات الأفكار والفلسفات التي عاصرها، ولم تكن في عصر السلف، لذلك عنيت ببيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من أهم الفرق. والغرض منه شرح العقيدة الإسلامية وفقًا لمنهج ابن تيمية في العرض مع المقارنة لعقائد الفرق المخالفة، فيتضح من هذا المنهج المقارن الفهم الصحيح

(١) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٢٦

(٢) السابق: ص ٢٦

(٣) السابق: ص ٢٦، ٢٧

للعقيدة، ويوقظ الوعي تحذيرًا من الوقوع في نفس الانحرافات التي وقعت فيها الفرق..)[(١)]

وسبب جعل منهج شيخ الإسلام ابن تيمية أحد مرتكزات المنهج التجديدي لدي الشيخ مصطفى حلمي، هو أن ابن تيمية: (حرص على تحقيق معنى ((إنسانية الإنسان)) والتفريق بين الخالق والمخلوق، أو بين العابد والمعبود، ففصَل في تعاليم الإسلام التي تدور حول هذه المباديء بين العناصر الثقافية والدينية التي اختلطت بالتعاليم الإسلامية حتى أصبحت لا تمثل القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، على نحو ما كان يمثل فيهم الرعيل الأول للإسلام لهذين المصدرين، حيث أدرك ببصيرته المشرقة أن سبب ذلة وضعف مسلمي يومه هو البُعد عن أسلوب الأوائل في فهم الإسلام والعمل به وله، والبعد عنه بوقوفهم عند حد تلك المذاهب والاتجاهات، والتزامهم آراءها، دون أن يمحصوها في ضوء القرآن وفهم الأسلاف الكرام له، وهي نفس العلة التي أصيب بها مسلمو اليوم. حزبية فكرية، وخصومة طائفية ومذهبية، وتقليد وتبعية للغرب الصليبي أو الشرق الماركسي فأصبح بأسهم بينهم شديدًا، ذلك أنهم نسوا الله ونسوا منهجه، فأنساهم الله أنفسهم، فكان هذا الفشل الذريع في كل مجالات الحياة.)[(٢)]

المطلب الثاني: دوافع الشيخ مصطفى حلمي لتجديد الدرس العَقَدِيِّ.

الشيخ الدكتور مصطفى حلمي، من أساتذة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، التي أنشئت أهلية باسم الجامعة المصرية عام ١٩٠٨م، وتحولت إلى حكومية ١٩٢٥م باسم جامعة فؤاد الأول، وعرفت باسم جامعة القاهرة بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م،[(٣)]

(١) السابق:ص ١٥

(٢) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٢٤

(٣) راجع: د. رؤوف عباس أحمد: تاريخ جامعة القاهرة، ص ٦، القاهرة، د. ت.

أما كلية دار العلوم التي كانت تسمى من قبل مدرسة دار العلوم، ويرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٨٧٢م، وقد تطورت إلى أن أصبحت إحدى المدارس العليا، وظلت كذلك إلى أن ضُمت إلى جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) ١٩٤٦م، وأصبحت تسمى (كلية دار العلوم) تخرج متخصصين في اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

وأقصد بكلمة (الدرس) أساليب الدرس: محاضرات، وإشراف، ومناقشات، وهي الجانب العلمي في جهوده الأكاديمية بالجامعة، والجانب الثاني: الأدوات: وهي الكتب التي ألفها الشيخ، والتي ترتبط بالتخصص الذي يتم تدريسه لها.

أما كلمة (العَقَدِيِّ) فالمقصود بها: كل ما يرتبط بدراسة العقيدة الإسلامية: عقيدة السلف، الفرق الكلامية، والتصوف، وصفًا، وتحليلًا، ونقدًا ومقارنة، وما يجب على المسلم اعتقاده.

وأقصد بكلمة (تجديد) دور الشيخ في التأليف والتدريس لعقيدة السلف، بوصفها علمًا جديدًا في الساحة الجامعية من جهة، والفصل بين ركام الدراسات الكلامية والصوفية -في الجامعة- والعقيدة الإسلامية الصحيحة من جهة أخرى.

و يُعد الشيخ مصطفى حلمي من علماء العقيدة المعاصرين الذين لهم أثر واضح في الدراسات العَقَدِيَّة، حيث أوجد نوعًا من الدرس العَقَدِيِّ بأسلوب معاصر، لم يسبق أن وُجِد في الجامعة المصرية قبله، حتى يمكن القول إنه لم يكن هناك هذا النوع من الدرس في الجامعة المصرية حيث غلبت الدراسات الفلسفية، والصوفية، والكلامية في الجامعة المصرية، وتأثرت بمناهج المستشرقين الذين انتدب الكثير منهم للتدريس فيها أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين(١)، وكذلك نزعة العداء لدراسة العقيدة من خلال القرآن والسنة في تلك الأوساط

---

(١) د. محمود الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص ١٢٣.

العلمية[1]، و خلال الثلث الأخير من القرن العشرين الميلادي إلى الآن، جاءت جهود الشيخ مصطفى حلمي، لتدشن لمرحلة جديدة في الدرس العَقَدِيِّ، وفي بيان دوافعه لهذا التجديد يمكن تقسيم تلك الدوافع إلى نوعين: دوافع منهجية، و دوافع تربوية حضارية:

أولًا:الدوافع المنهجية:

كانت منهجية تدريس العقيدة (الآراء الكلامية والفِرق) في الجامعة المصرية من المشاكل التي واجهت الشيخ، وهو ما عبر عنه بقوله: (..ولكن ما الحيلة إزاء مقررات جامعية فَرضت علينا الانشغال بمثل هذه القضايا ؟!)[2]

وربما كانت هذه المشكلة التي واجهت الشيخ، وهي التعارض بين منهجه العَقَدِيِّ، وما كُلِّف به في التدريس هي مكمن التجديد والبيان لمنهج السلف والتقعيد له، فجمع بين تدريس الفِرق والمنهج النقدي لها، فلم يقتصر في مؤلفاته الجامعية على مجرد الرد الوعظي بالقبول أو الرفض، أو حكم الفِرق الدنيوي والأخروي، بل كان اهتمامه ببيان الطرح الإسلامي لموضوعات العقيدة على منهج القرآن والسنة، فيقول: (إن إبراء الذمة إذن يقتضي أن أصرح بأنني عندما عرضت لعقائد الفِرق فقد أضطررت له اضطرارًا اضطرني إليه دراسة وتدريس (علم الكلام) وفق مناهج الجامعة، وربما كان من ناحية أخرى فاتحة خير، فعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم؛ إذ عالجتها بمنهج نقدي من وجهة نظر علماء أهل السنة، فإذا تقيدت بأسماء تلك الفرق فلمجرد الأمانة العلمية)[3].

---

(1) راجع: د. مفرح بن سليمان القويسي: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، ص ١٥٣ وما بعدها، ط١، دار الفضيلة، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٢م.

(2) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، تقديم: محمد إسماعيل المقدم، ص ١٠، ط٣، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(3) د. مصطفى حلمي: بحوث في العقيدة الإسلامية، ص ٤ مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٤٠٥، ١٩٨٥- =

أما جوانب الخير أو الفوائد العائدة من دراسة العقيدة بهذا المنهج النقدي، فيبينها الشيخ في نقاط هي:

١- الاطمئنان التام لموقف علماء السنة، مع التوصية بالالتزام بهذا الموقف إزاء أية بوادر للانحراف أو الخروج عن عقيدة الأوائل.

٢-إن عقائد الفرق المخالفة لم تنقض بانقضاء مراحلها التاريخية، بل ظلت متوارثة في عقول البعض، ومن هنا تأتي الفائدة الثانية وهي أن الدراسة النقدية لتلك الفرق فيها التحذير من الانزلاق إلى بعض، أو كل بدع الفرق المنحرفة عن الجادة.(١)

٣-إذا كان المسلمون يلتمسون طريقًا للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا بالإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي، عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ(٢).

٤- ومن الدوافع المنهجية لتجديد الدرس العَقَدِيِّ؛ التي بينها الشيخ من خلال بيانه في تحليل مشكلات الدرس العَقَدِيِّ التي دفعته إلى تجديد الدرس العَقَدِيِّ؛ هي أنه: (ظلت أغلب الدراسات المعاصرة في الإسلاميات التي تحوم حول العقيدة تعتمد على كتب المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة في الغالب، فلا تكاد تعثر على دراسة عن المسلمين الأوائل ومناهجهم الشرعية العقلية في الاستدلال على أصول الدين)(٣)

= قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي ص ١١

(١) انظر: السابق، ص ١١

(٢) انظر: د.مصطفى حلمي: المنهج السلفي لا الحداثة طريق النهضة، ص ٢٠ وما بعدها، ط١، دار العقيدة، القاهرة، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م

(٣) د. مصطفى حلمي: بحوث في العقيدة الإسلامية، ص١٠، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي ص٣٣

ولم يقتصر الأمر على طغيان الدرس الصوفي والكلامي، بل تأثرت الدراسات الكلامية والصوفية بآراء المستشرقين، وطريقتهم في عرض آراء الفِرق وهي آراء لا تخلو من إشكالات، فأغلب البحوث الاستشراقية المتصلة بالعقائد تتبلور مشكلاتها في:

١-اهتمام المستشرقين بالفرق المنشقة عن أهل السنة والجماعة، والاهتمام بإيجاد الصلات بين معتقدات الفرق والمصادر الخارجية عن عقائد وديانات وفلسفات يونانية وفارسية ونحوها.

٢- كثيرًا ما تتضخم أبحاث المستشرقين بالمسائل الخلافية والعناية بالفرق الغالية، وتصور التاريخ الإسلامي من خلال الخلافات والانشقاقات، فتختفي الحقيقة تحت أكوام من الجدل والخلاف، بحيث يصعب على القاريء التمييز بين الحق والباطل[(١)].

ومن سيئات الاعتماد على المناهج الاستشراقية في الدرس العَقَدِيِّ: (فضلًا عن النتائج المغرضة التي يريد الوصول إليها، فإنه يتجاهل حقيقة بارزة لا يمكن إخفاؤها، ألا وهي أن آراء الفرق المنشقة قد حوصرت منذ ظهورها بواسطة علماء الحديث والسنة، ورفضتها الغالبية من أهل السنة والجماعة التي ظلت مستمسكة بالعقيدة الصحيحة المتلقاه بالقبول والفهم منذ عصر النبي ﷺ وصحابته)[(٢)]

ويتضح حجم المعاناة في دراسات الشيخ الأولى للعقيدة في قوله: (كابدت مناهج البحث في الكتب التي تعرض لعلم الكلام وأصول الدين من وجهة نظر خصوم السلف، دعك من خصوم الإسلام نفسه من الرواد والمستشرقين وتلامذتهم الذين

(١) انظر: قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٣٣، و بحوث في العقيدة الإسلامية ص ١٠ وما بعدها.

(٢) السابق: ص ٣٣

عاشوا في الأرض فسادًا؛ فاقتحموا حصون العقيدة الإسلامية يريدون دكها والقضاء عليها، وتشكيك الأجيال التي وضعها الاستعمار بين أيديهم، ولكن هيهات!! فإن للإسلام وكتابه وعقيدته، وأمته ربًا يحميه، فقيض له العلماء الأفذاذ للدفاع.)[١]

ثانيًا: الدوافع التربوية الحضارية:

أما الدوافع التربوية الحضارية، فهي: (البناء الصحيح للفرد المسلم والمجتمعات الإسلامية؛ إذ لا تنقصنا السواعد والعقول..ولكننا في حاجة إلى حشدها وتجميعها وفق خطط علمية.)[٢]

وترتبط الأسباب التربوية الحضارية في تجديد الدرس العَقَدِيِّ، بمشكلة الهُوية الإسلامية التي تأثرت بالإيديولوجيات المعاصرة: (من قومية وعلمانية ووطنية ومذاهب فلسفية واقتصادية، فإذا أردنا الرؤية الصحيحة، فعلينا متابعة الدور الحضاري الذي قامت به أمتنا عندما كانت رائدة الأمم؛ حيث قامت الحضارة الإسلامية على ركنين:

أحدهما: قوة الإيمان وصدق اليقين ورسوخ العقيدة، مع الفهم الصحيح للإسلام كمنهج للحياة الإيجابية المثمرة.

الثاني: العناية الفائقة بالعلوم، والمعارف بنفس القدر من الاهتمام سواء للعلوم الدينية، أو غيرها من علوم الكون، والطبيعة والرياضة، وغيرها استجابة لدين كانت أول أوامره: (اقْرَأْ).[٣]

وتتجلى جوانب الجِدة في الدرس العَقَدِيِّ، من خلال بيان جهوده العلمية في المطلب التالي:

(١) السابق: ص ١٤

(٢) السابق: ص ١٠

(٣) السابق: ص ١٠

المطلب الثالث: جهوده العلمية (مؤلفاته)

كانت جهود الشيخ في التأليف والتدريس، وفي الإشراف على الرسائل العلمية تصب كلها في خدمة المنهج السلفي، فمشروعه العلمي كله تجديد في تناول المنهج السلفي، ودفاع عنه، وليس من الدقة القول بأنه: (بعثٌ وتجديدٌ للسلفية فلسفيًا)(١) فالتجديد لدى الشيخ منهجي شرعي وليس فلسفي، لان الفلسفة هي الفكر المجرد عن الشرع، حيث توفرت لدى الشيخ مَلَكة التأليف في منهجية علماء أهل السنة في تحليل الأفكار المخالفة والرد عليها من جهة، والتقعيد لمنهجهم في أصول الدين من جهة أخرى.

وفي إطار البيان والتقعيد، والدفاع والتجديد، لمنهج أهل السنة والجماعة في العقيدة، أصدر الشيخ العديد من المؤلفات التي تنحصر في خمسة محاور:

المحور الأول: العقيدة الإسلامية.

وهي أهم المحاور على الإطلاق، وقد أثرت مصنفاته فيها المكتبة الإسلامية، وأهمها:

١-منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين.(٢)

٢-السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية.(٣)

٣-قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي.(٤)

٤-الموجز في العقيدة الإسلامية مختصر عقيدة الإمام السفاريني(١).

(١) كما ذهب أحد الكُتاب ن في مقالة عن الشيخ على الشبكة العنكبوتية، بعنوان: (مصطفى حلمي بعث وتجديد السلفية فلسفيًا) للكاتب/ حسام تمام.

(٢) ط٢، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

(٣) ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٣هـــ١٩٨٤م.

(٤) ط١، ١٤١١ه، ١٩٩١م- ط٢، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، بتقديم الشيخ محمد إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٥م، وهي التي رجعت لها في بحثي.

المحور الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في الموقف من التصوف والصوفية، وكان فيه المؤلفات الآتية:

١-ابن تيمية والتصوف.[٢]

٢-أعمال القلوب بين علماء أهل السنة والصوفية[٣].

٣-الزهاد الأوائل دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى[٤].

المحور الثالث: الفلسفة، والتغريب والغزو الثقافي، وكان فيه المؤلفات الآتية:

١-الإسلام والمذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة.[٥]

٢-الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي.[٦]

٣- الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام.[٧]

٤-الحضارة الإسلامية حضارة سلام لا إرهاب.[٨]

المحور الرابع: علم مقارنة الأديان.وفيه:

-الإسلام والأديان دراسة مقارنة[٩].

المحور الخامس: الفكر السياسي الإسلامي، وفيه المؤلفات الآتية:

١-نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة[١٠]

---

(١) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م

(٢) ط٢، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٢م

(٣) دار الدعوة، الإسكندرية، د ت.

(٤) ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٠ه، ١٩٧٩م

(٥) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م

(٦) ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٩٧م

(٧) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٤م.

(٨) ط١، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٤٧٣ه، ٢٠١٦م

(٩) ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١١ه، ١٩٩٠م

(١٠) تقديم الشيخ: محمد أحمد إسماعيل المقدم، ط٢، دار المؤيد، الرياض، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م

٢- تحقيق كتاب: (غياث الأمم في التياث الظُلَم) لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ)[١]

٣-تحقيق كتاب: (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة)[٢]

المحور السادس: أسلمة العلوم، وفيه:

-مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب[٣]

وتقديرًا لجهوده التجديدية فقد تم تكريمه، في المملكة العربية السعودية وحصل على جائزة الملك فيصل بالاشتراك، عام (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) تقديرًا لأعماله العلمية في مجال الدراسات الإسلامية التي تناولت العقيدة الإسلامية من خلال كتبه الثلاثة:

١-منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين.

٢-قواعد المنهج السلفي والنسق الإسلامي في مسائل الألوهية والإنسان والعالم عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣-السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية.

وهي كتب تتميز بصحة المعلومات التي تضمنتها، وذلك بتوثيقها من مصادرها الأصلية وسلامة الاتجاه الفكري لدى المؤلف وقوة الاستدلال فيما يرجحه أو يرد عليه من المذاهب والنزاهة والتأديب في الأسلوب وسهولة العبارة ووضوحها.[٤]

---

(١) دار الدعوة الإسكندرية، بدون تاريخ، بالاشتراك مع د.فؤاد عبد المنعم أحمد.

(٢) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

(٣) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٣٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٤) انظر: موقع جائزة الملك فيصل، على الشبكة العنكبوتية.

المبحث الثاني

الأصول المنهجية لتجديد الدرس العَقَدِيِّ لدي الشيخ الدكتور مصطفى حلمي.

المطلب الأول: أصل المنهج الاعتقادي هو العقيدة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ والصحابة.

من مرتكزات منهج الشيخ الاعتماد على فهم السلف للعقيدة، لأن نقطة البداية الحقيقية ينبغي أن تبدأ بالتأسي بالنبي محمد ﷺ، وخلفائه الراشدين من بعده؛ ولأن القرون الأولى للمسلمين كانت خير القرون في الدين والدنيا معًا؛ فقد حققوا الإسلام في قلوبهم فدانت لهم الدنيا، وأقاموا أفضل حضارة لأنها قائمة على الحق والعدل، ومستوية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

ويوضح الشيخ المقصود بفهم السلف مبينًا أنهم: (بلغوا الذروة في فهم العقيدة الإسلامية استيعابًا وتنفيذًا، والاقتداء بهم يتطلب الارتفاع إلى مستواهم، لا (الرجوع) إلى الزمن الذي عاصروه بوسائله وأدواته، فالاتباع إذن في (القيم) التي حققوها وعاشوا من أجلها، لا في (وسائل) المعيشة التي استخدموها)(٢)

ويهتم الشيخ في هذا الجانب بالرد على المستشرقين المتأثرين بنظرية التطور، وطبقوها على الإسلام في العقائد والعبادات، فتصوروا أنه بدأ بسيطًا ثم تطور على يد المسلمين(٣).

وقد اكتمل الإسلام في عقائده وعباداته وأخلاقه وأحكامه ونصوصه وقواعده، في حياة الرسول ﷺ، ومن الأدلة القطعية الثابتة،(٤)مثل قوله تعالى: ﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..﴾ (المائدة: ٣)

---

(١) بحوث في العقيدة الإسلامية: ص ٧٢ وما بعدها.

(٢) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٣٣

(٣) السابق: ص ٣٤

(٤) السابق: ص ٣٥

وقد بين الرسول ﷺ لصحابته، أصول الدين، وأركان الإيمان، والمنهج الأمثل في العلم الإلهي(١)، والإيمان بالقدر وفهمه على الوجه الصحيح.(٢)

وفي هذا الجانب ينطلق الشيخ من أصلٍ هو أن الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة كما أُمِر، ولم يكتم منها شيئًا، تنفيذًا لقوله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧) وبناء على هذا الأصل فإنه كما تبين لنا أوضح كافة الأصول الإسلامية مما أخبر به تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن، وشرح وبين لأصحابه هذه الأصول كلها كأحسن ما يكون البيان(٣).

وكان الصحابة حريصين على الفهم الدقيق الكامل لكل ما يتعلمونه من القرآن والحديث، فإن عثمان ابن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا(٤).

وفي تجديده للدرس العَقَدِيِّ اهتم الشيخ ببيان أهمية منهج الصحابة رضوان الله عليهم في فهم العقيدة، من خلال عدة أسس هي: مكانة الصحابة في الأمة،(٥)، ومنهج الصحابة في النظر والتدبر(٦)، وبيان الأدلة الشرعية والعقلية على فضل الصحابة

---

(١) انظر: السابق، ص ٣٨

(٢) انظر: السابق، ص ٧٤

(٣) انظر: السابق، ص ٥٢

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. ج٥ ص ٥٢ جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. بمساعدة ابنه محمد-المكتب التعليمي السعودي بالمغرب-د. ت.

(٥) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٥٠

(٦) السابق: ص ٥٣

رضي الله عنهم[1].

الأساس الأول: مكانة الصحابة في الأمة.

فقد اكتمل فهمهم ومعرفتهم بأصول الدين، بفضل طاعتهم للآيات القرآنية التي حثتهم على التدبر في غير موضع، في مثل قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: ٢٩)، وبالعكس وصف الكفار والمنافقين بالإعراض عن تدبره في مثل قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد:٢٤) من خلال تلك الآيات التي تتحدث عن المؤمنين في تدبرهم للقرآن، والآيات الأخرى التي تتحدث عن الكفار والمنافقين، يستنبط الشيخ أن معانيه مما يمكن للكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها، فهي إذن ممكنة للمؤمنين أيضًا، ويدل على أن معانيه كانت معروفة بينة لهم[2].

ويستنبط الشيخ مكانة الصحابة من خلال الآيات التي تخاطب العقل الإنساني، وتشغيل العمليات الإدراكية: (فإن الله عز وجل بين أنه أنزل القرآن عربيًا لكي يعقلوه: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف:٢)، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه، وذم من لا يفقهه: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء:٧٨) فلو كان المؤمنون لا يفقهون لاصطفوا في صف واحد مع المنافقين والكفار الذين ضرب لهم مثلًا بقوله تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٧١) فكيف يمكن إذن وضع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بمنزلة الكفار الذين ذمهم الله في أكثر من موضع لأنهم أعرضوا عن تدبر القرآن واتبعوا أهواءهم، فقال تعالى في وصفهم:﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) السابق: ص ٥٦، ٦٠

(٢) السابق: ص ٥٠

مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٦))(١)

وعلى هذا يتبين منهج الشيخ في بيان مكانة الصحابة في الأمة من خلال الآيات التي تحدثت عنهم مباشرة، والآيات التي تتحدث عن المشركين والمنافقين في موقفهم من النبي ﷺ، والقرآن الموحى إليه، وهذا الاستنباط الظاهر المنصوص من أقوى الأدلة في حجية فهم الصحابة في الاستدلال على مسائل العقيدة.

الأساس الثاني: منهج الصحابة في النظر والتدبر.

يؤكد الشيخ أن الإسلام يخاطب العقل، ويدعو إلى النظر في آثار مخلوقات الله تعالى، وقد مضى عصر الصحابة في الصدر الأول على المنهج القرآني الواضح، وكان قدوتهم الرسول ﷺ وحده في النظر والسلوك، حيث عاشوا معه وشاهدوا التنزيل وسألوا واستفسروا عما يعن لهن من قضايا تحتاج إلى شرح وإيضاح.(٢)

وبناء على اتباعهم للقرآن الكريم فقد استمدوا منه: معرفة وحدانية الله تعالى، وإثبات صفاته، وعرفوا الأنبياء والرسل، وقصصهم مع أقوامهم، ووقفوا منه على أصل خلق آدم عليه السلام وعدواة إبليس له ولبنيه، وعرفوا مكانة الملائكة وأدوارهم، من بين مخلوقات الله تعالى، واستمدوا معلوماتهم عن اليوم الآخر، وحساب الله تعالى وجنته وناره، والقدر خيره وشره، إلى غير ذلك من القضايا التي تشكل أركانًا رئيسية وأصولًا في الإيمان، وكلها جمعها القرآن الكريم.(٣)

وتأتي السنة النبوية كمصدر ثان للإسلام، والمنهج الصحيح يقتضي: (معرفة سننه وتنفيذها، فمن كان أعلم بسننه وأتبع لها كان الصواب معه، وهذه الأوصاف تنطبق

---

(١) السابق: ص ٥٠، ٥١

(٢) السابق: ص ٥٣

(٣) السابق: ص ٥٣

على الصحابة رضي الله عنهم ثم الأجيال التالية من أهل الحديث والسنة.. وبهذه الطريقة وضعوا الأسس السليمة للمنهج الصحيح في معرفة أصول الدين وفروعه..)[1]

الأساس الثالث: الأدلة الشرعية والعقلية على فضل الصحابة رضي الله عنهم.

ومشروعية منهج الصحابة في التلقي ليست مجرد تبرك أو سبيل الرقائق والمواعظ، بل لأنه أمر مأمور به شرعًا، لهذا كان حرص الشيخ على بيان الأدلة الشرعية على فضل منهج الصحابة وفهمهم للعقيدة،[2] ومنها قول الله سبحانه:﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(التوبة:١٠٠)كما تتبين مكانة الصحابة الخاصة بعد رسول الله ﷺ، لاسيما الخلفاء الراشدين، وباقي العشرة المبشرين بالجنة، وفي الحديث: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)[3]

وبناء على ما جاء عن فضل الصحابة في القرآن والسنة، فإن من فضلهم صبرهم وثباتهم بعد الاهتداء إلى الإسلام، لأنهم تذوقوا حلاوة الإيمان في قلوبهم، وأيقنوا صدق الرسول ﷺ، واقتنعوا بعقيدته في نفوسهم، فهم الواسطة بين الرسول والأمة، ولذلك امتدحهم وجعلهم الأفضل على مدى الأجيال، كما قال ﷺ: (لا تسبوا

(١) السابق: ص ٥٤

(٢) السابق: ص ٥٦

(٣) أخرجه أبوداود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٧، والدارمي: المقدمة، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته، حديث رقم ٩٥، والترمذي: أبواب العلم، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم ٢٦٧٦

أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)(١) فكان إيمانهم عن علم ودراية، وفكر ونظر، وليسوا مجرد عوام يؤمنون كإيمان العامة(٢).

أما الأدلة العقلية على فضل منهج الصحابة في التلقي والفهم عن الرسول ﷺ، فإن الشيخ يستدل بأن النظر العقلي يبين مشروعية التلقي عن السلف من حيث:

١- النصوص المستفيضة في التفسير، والتي تدل على فهمهم للقرآن الكريم وتدبرهم، وإحاطتهم بالأدلة القرآنية كالآيات، وضرب الأمثلة، واستخدام الأقيسة العقلية، والدليل العقلي يبرهن على أن حواري الرسل وصحابتهم هم أكثر الناس فهمًا لرسالتهم بأصولها وفروعها ودقائقها عن غيرهم، وأن المتأخرين هم أكثر الناس بُعدًا عن الرسالات وفهمها باستثناء الحريصين على اتباع منهج السلف كما فعل أهل الحديث والسنة.

٢-طُرُق استدلال الصحابة كانت استجابة لما في القرآن الكريم من النظر في المخلوقات والتأمل في عجائب صنع الله تعالى وما يطرأ عليها من تغيرات على مدار الأزمنة.

٣- التفسير العقلي يبرهن على تجاوبهم الكامل مع العقيدة التي تغلغلت إلى أعماق نفوسهم؛ فإن الدارس لأحوالهم وسلوكهم خلال أوقات الأزمات والجهاد الشاق على النفس وعلى الهوى، وفي مواجهة الأهل والأصحاب والعادات المألوفة والعقائد الوثنية الباطلة التي نشأ البعض عليها بالمقارنة بتصرفاتهم وعقائدهم قبل الإسلام وبعده.

٤- وفي ضوء دراسة أعمالهم وسلوكهم مع رسول الله ﷺ، وخشيتهم لربهم،

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا، حديث رقم ٣٤٧٠، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، الحديث رقم ٢٥٤١.

(٢) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٥٨

وفهمهم لدقائق العقيدة بعد أن تلقوها من رسول الله ﷺ، بعد هذا كله يمكن وصفهم بأنهم الأعلم والأحكم من كل من جاء بعدهم.(١)

٥- الاستنتاج من خلال النظر العقلي في أحوال الصحابة ينتهي إلى تقرير الحقيقة بالتساؤل الاستنتاجي: (وهل نتصور أن أصحاب العصور التالية كانوا أكثر فهمًا للدين وأصوله من الصحابة؟ أو أنهم أفقه وأورع منهم؟ إن ذلك يُعد قلبًا للأوضاع، وتبديلًا لموازين القياس الصحيح، إذ سجل لنا التاريخ فضائل أعمال الجيل الأول بمثاليتهم في الفهم والتطبيق، فلم يشغلهم الجهاد عن التدبر والفهم العميق للإسلام بعقيدته وعباداته وأحكامه، وكثرة الروايات عن الجهاد والأعمال الصالحة تنطوي في ذاتها على عمق الإدراك والوعي بالرسالة والتحرك بها، فانصرفوا عن الجدال واهتموا بالأعمال.)(٢)

وبناء على الأدلة السابقة في فضل الصحابة على المستوى الإيماني والعملي والاعتقادي؛ يطرح الشيخ هذا السؤال: (ألا يحق لعلماء أهل السنة والجماعة سلوك طريقهم، واعتبارهم الجيل المثالي في العقيدة والسلوك؟)(٣)

ولاشك أن منهج الصحابة هو الأسلم والأعلم والأحكم، وفي الإجابة عن هذا السؤال كانت الجهود التجديدية التي قام بها الشيخ للدرس العَقَدِيِّ على منهج السلف، على مستوى الموضوعات وأسلوب العرض؛ لإيجاد الطريق لتدريس منهج السلف الذي حرمت منه الأجيال في إطار الدراسات الإسلامية الأكاديمية، ومن تلك الجهود التجديدية: التقعيد لمنهج أهل السنة والجماعة في أصول الدين كما سأحاول بيانه في المطلب التالي.

(١) انظر: بحوث في العقيدة الإسلامية ص ١٠، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٦٠، ٦٣

(٢) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٦٤، بحوث في العقيدة الإسلامية ص ٤٠ وما بعدها

(٣) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٦٥

المطلب الثاني: دور الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في التقعيد لمنهج أهل السنة والجماعة في الدرس العَقَدِيِّ المعاصر.

في بيئة علمية تحتاج إلى بيان منهج الصحابة، وفي أوساط أكاديمية لها طابع خاص، حيث تتزاحم الدراسات الفلسفية سواء اليونانية، أو الغربية المعاصرة، وكذلك الدراسات الصوفية، في هذا الجو الفكري، كان من الضروري بيان مُركَّز لقواعد المنهج السلفي وبلورتها والتأسيس لها وسط هذا الجو العلمي السائد في الجامعة، من هنا كان الدور المهم الذي يحتاج إلى مهارة العالم والمعلم والمربي في التجديد للدرس العَقَدِيِّ بصياغة قواعد أساسية للمنهج الإسلامي: حيث تحاول كثير من الفِرق الكلامية الانتساب إلى السلف الصالح، فكان ينبغي ظهور قواعد واضحة لعقيدة السلف تميزه عمن يدعي الانتساب للسلفية، ويُسترشد بها في الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية.(١)

و قد صاغ الشيخ بعض القواعد للمنهج الإسلامي، في محاولة منه لبلورة المنهج في صورة قواعد منهجية. ولاشك أنها محاولة تجديدية من جهة، وأسلوب دَعَوي من جهة أخرى، وفيما يلي عرض تحليلي نقدي لتلك القواعد:

القاعدة الأولى: تقديم الشرع على العقل.

في هذه القاعدة ينبه الباحث إلى ضرورة التفرقة بين نوعين من العقل:

أولهما: العقل السليم، وهو الذي يعقل عن الله، بمعنى يتلقى عن الله، لأن القرآن يخاطب العقل الإنساني، بوصفه مناط التكليف وشرطه، ولا يخاطِبُ اللهُ إلا عاقلًا: يفهم ويعي ويتدبر ويتفقه، ويتعقل، ويؤمن ويُسَلِّم، والحواس جزء منه﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾(الإسراء:٣٦)

والثاني: العقل الكلامي.الذي ادعاه المتكلمون لأنفسهم، وقدموه وحكموه في

(١) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٢٠٢ وما بعدها، و بحوث في العقيدة الإسلامية ص ٣٨

الشرع عند التعارض المتوهم، بسبب تأثرهم بالفلسفات البشرية اليونانية والشرقية، وما أثارته من شبهات وزيغ أقحمها المتكلمون في أصول الدين، وسموها عقلًا، في حين أنها بعيدة عن العقل والعمليات العقلية الإداراكية السليمة، والوصف الصحيح للانحرافات العقائدية هو ما جاء في القرآن عنها، وبيان أنواعها: الزيع، أو الشبهات، أو الأهواء، أو المجادلة بالباطل، أو الكذب، أو القول على الله بغير حق.

وبناء على التفرقة بين النوعين؛ فما العقل الذي يقصده الشيخ من هذه القاعدة؟

من خلال شرح الشيخ لتلك القاعدة نلاحظ أنه يقصد العقل بمعناه الثاني، فهو يرفض المقصد الكلامي من إطلاق العقل.

و المقصود من تلك القاعدة كما يذهب الشيخ؛ أن أصحاب المنهج السلفي يتميزون عن المتكلمين بأنهم: يبدأون بالشرع إيمانًا وتسليمًا، ويُخضِعون العقل له، ومن ثم فإنهم يقدمون الرواية على الدراية والنظر العقلي.[1]وليس معنى ذلك إهمال النظر العقلي، بل المقصود أنهم يُخضِعون العقل للشرع: (وتظهر أصول العقيدة لديهم في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، بل أمروها كما جاءت في كتاب الله، أو لسان رسوله ﷺ، وردوا علمها إلى قائلها)[2]

وبناء على ما سبق فهم لا يُخضِعون العقل للشرع وفقط، بل يُخضِعون له سائر الحواس، ومصادر المعرفة الإنسانية سواء أكانت عقلية، أم وجدانية، أم تجريبية، فلا إيمان بلا تعقل، ووجدان، وتقديم الشرع عليها بمعنى إخضاعها للشرع يوجهها ويتحكم فيها وليس العكس.

وما يدعيه المتكلمون من أنهم يقدمون العقل على الشرع، قول غير مُسَلَّم لهم به؛

---

(١) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ٢٠٤

(٢) السابق: ص ٢٠٤، ٢٠٥- وانظر ابن تيمية: نقض المنطق ص ٢

فهم يقدمون شبهاتهم أو زيغهم أو أهواءهم، أو ظنونهم، وكل هذه الأنواع ليست عقلية بل هي ضد التفكير العقلي، ولذلك نجد في القرآن الكريم استخدام تلك الألفاظ في ذم من يعرضون عن رسالات الأنبياء والمرسلين، أما ما شاع في الدراسات الكلامية القديمة والحديثة من أن المتكلمين يقدمون عقولهم على النقل، فهو فرية انطلت على بعض الباحثين، افتراها المتكلمون وجاراهم عليها بعض الباحثين والطلاب، فالقرآن الكريم يخاطب عقل الإنسان في غير ما آية، لأنه مناط التكليف، وأحد شروطه، فلا يُخاطب بالشرع إلا العقلاء، وقد ذُكِرت في القرآن الكريم العمليات العقلية: التفكر، والتدبر، والتعقل، والتفقه، ومضادتها من أعمال مناقضة لإعمال العقل في فهم الشرع.

وكذلك انطلت تلك الفرية بصورة معاصرة، عندما جارينا المعاصرين من العلمانيين والحداثيين بأنهم: عقلانيون، جاريناهم على مدح أنفسهم، في حين أنهم عن العقل عن الله، والتلقي لمنهجه أبعد، وللافتراء والانحراف عن الشرع أوقع، فهم كذلك أصحاب زيغ وشبهات وأهواء، وليسوا أصحاب عقلانية!!.

ورغم المقاصد المنهجية من عنوان هذه القاعدة، إلا أن صياغتها على هذا النحو ربما تكرس أو تؤدى إلى فهم أن الشرع نقيض العقل، والعقل نقيض الشرع، وهذا ما جعل الشيخ يبين تلك المسألة ويوضحها من خلال شرح شيخ الإسلام بن تيمية، في تفنيده للصلة بين الأدلة الشرعية والأدلة العقلية، حيث يبين شيخ الإسلام تلك المسألة بقوله: (أن يقال كون عقليًا أو سمعيًا ليس هو صفة تقتضي مدحًا ولا ذمًا ولا صحة ولا فسادًا، بل ذلك يبين الطريق الذي به عُلِم وهو السمع أو العقل، وإن كان السمع لابد معه من العقل، ومن ذلك كون عقليًا أو سمعيًا، ليس هو صفة تقتضي مدحًا ولا ذمًا وكذلك كونه عقليًا ونقليًا. وأما كونه شرعيًا فلا يقابل بكونه عقليًا. وإنما يقابل بكونه بدعيًا، إذ البدعة تقابل الشرعية، وكونه شرعيًا صفة مدح، وكونه

بدعيًا صفة ذم. وما خالف الشريعة فهو باطل، ثم الشرعي قد يكون سمعيًا، وقد يكون عقليًا؛ فإن كون الدليل شرعيًا يراد به كون الشرع أثبته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أُريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإما أن يكون معلومًا بالعقل أيضًا، ولكن الشرع نبه عليه ودل عليه فيكون شرعيًا عقليًا، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة على توحيده..)(١)

القاعدة الثانية: رفض التأويل الكلامي.

يبين الشيخ المقصود بالتأويل الكلامي وعلاقته بأصول الدين، موضحًا أن: (التأويل عند المتكلمين بعامة يقتضي اتخاذ العقل أصلًا في التفسير مقدمًا على الشرع، فإذا ظهر تعارض بينهما فينبغي تأويل النصوص إلى ما يوافق مقتضى العقل)(٢)وقد سبق بيان المقصود بالعقل الكلامي، وهو الذي جعلهم يقعون في التعطيل والتمثيل والتشبيه..إلخ

أما موقف السلف من التأويل الكلامي، فهو عدم اللجوء لذلك النوع من التأويل، والتحاكم إلى: (الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مكتفين بها، فطوعوا المفاهيم العقلية لها، لأن العقل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو أمر يقوم بالعاقل سواء سُمي عرضًا أو صفة..)(٣)

القاعدة الثالثة: الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية.

في تجديده للدرس العَقَدِيِّ، على منهج السلف يبين الشيخ تلك القاعدة والمقصود بها بيان طُرُق القرآن في الاستدلال، والتي قسمها إلى قسمين، يمكن بلورتهما في المحورين التاليين:

(١) درء تعارض العقل والنقل: ج١ ص ١١٦، تحقيق د.محمد رشاد سالم، ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م

(٢) قواعد المنهج السلفي: ص ٢٠١٢

(٣) السابق: ص ٢٠٩، الفتاوى ٩/ ٢٧٩

أولًا: الآيات:

ويُقصد بها طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على مسائل العقيدة، والتي منها: حث الإنسان على النظر في ملكوت السموات والأرض، وحضه على كشف أسرار مخلوقات الله، والإشادة بالعلم والعلماء. وتاريخ الفكر الإسلامي في العصور الأولى يشهد بأن المسلمين اكتفوا بالقرآن الكريم إلى جانب السنة، دليلًا في كافة أمورهم، فاستغرقوا فيه تلاوة وحفظًا، وعكفوا على تفسيره، ونفذوا أحكامه، واستنبطوا من آياته قواعد النظر العقلي، واستمدوا منه حقائق عالم الغيب.[1]

والآيات أي الأدلة القرآنية أنواع نذكر منها على سبيل المثال الأقيسة العقلية كما في قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣) فأخبر سبحانه أن الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم، إلا جاء الله بالحق، وجاءه بالبيان والدليل وضرب المثل بما هو أحسن تفسيرًا وكشفًا وإيضاحًا للحق من قياسهم[2].

ومنها دعوة الإنسان إلى الإيمان بالله، فهو تارة يخاطب عقله ويقنعه بالمنطق، ويقدم له الدليل[3]كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (الواقعة: ٥٧-٦٠)

وقد أورد الشيخ كثير من الأدلة لهذه القاعدة[4]، واستنتج أنه بهذه القاعدة وقف السلف في وجه المتكلمين والفلاسفة، واستعاضوا بالأدلة القرآنية عن التأويلات الكلامية لدى شيوخ المعتزلة والأشاعرة، وكان ابن تيمية من أدق المستخدمين لهذه

(١) قواعد المنهج السلفي: ص ٢٠٩، الفتاوى ٩/ ٢٧٩

(٢) قواعد ص ٢١٣، ابن تيمية: نقض المنطق ص ٨٩

(٣) قواعد ص ٢١٢، ابن تيمية: نقض المنطق ص ٨٩

(٤) انظر: قواعد المنهج ص ٢١٦

القاعدة(١).

ثانيًا: طُرُق البراهين القرآنية:

وهي أنواع متعددة، وقد تأثر الشيخ في بيانها بشيخ الإسلام بن تيمية في رده على المنطقيين، وقد قسمها الشيخ مصطفى حلمي إلى: الميزان القرآني، وقياس الأولى (على وزن الأعلى)، والاعتبار واللزوم، وسأقتصر هنا على بيان النوعين الأولين كمثالين على الطُرق البرهانية، التي أدخلها الشيخ في الدرس العقدى:

١-**الميزان القرآني**. حيث اعتمد الشيخ في تجديده للدرس العَقَدِيِّ على ابن تيمية في بيانه لهذه الأدلة، مبينًا أن: (القياس الصحيح هو الميزان المنزل من الله تعالى الذي يستدل به العقل، فإن أعظم صفات العقل معرفة التماثل والاختلاف، فإذا رأي الشيئين المتماثلين علم أن هذا مثل هذا، فجعل حكمهما واحد، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (الشورى: ١٧) وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد: ٢٥) وفسر السلف الميزان بالعدل، وفسره بعضهم بما يوزن به، ويبين في موضع آخر أن القياس الصحيح هو العدل الذي أنزله الله تعالى، وأنه لا يجوز أن يختلف الكتاب والميزان، فلا يختلف نص ثابت عن الرسل، وقياس صحيح، لا قياس شرعي ولا عقلي، ولا يجوز قط أن الأدلة الصحيحة النقلية تخالف الأدلة الصحيحة العقلية..)(٢)

٢-**قياس الأولى**: وخلاصته: (لاختصاص الله تعالى بصفات الكمال بالإطلاق، فقد استعمل الأنبياء عليهم السلام في الاستدلال عليه تعالى قياس الأولى..لإثبات أن كل مايثبت لغيره من كمال فثبوته له بطريق الأولى، وما تنزه عنه غيره من النقائص

(١) قواعد المنهج السلفي: ص ٢١٣، ابن تيمية: نقض المنطق ص ٨٩

(٢) قواعد المنهج السلفي: ص ٢١٨، والرد على المنطقيين ٢٧١

فتنزهه عنه بطريق الأولى)(١)

ومن أمثلة ذلك؛ استخدام القرآن الكريم قياس الأولى في بيان إمكان المعاد بأكثر من طريقة: مثل إخباره عمن أماتهم ثم أحياهم، كما أخبر عن قوم بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥، ٥٦) وكما أخبر عن عيسى عليه السلام أنه كان يحيي الموتى بإذن الله، وبنفس الطريقة أخبر عن أصحاب الكهف أنهم لبثوا نيامًا في كهفهم: ﴿ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف:٢٥) وقال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ (الكهف:٢١))

وتارة يستدل القرآن الكريم على البعث بالنشأة الأولى، وأن الإعادة أهون من الابتداء، كقوله تعالى:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس:٨٧، ٧٩). وتارة يستدل على إمكان البعث بخلق السموات والأرض، فإن خلقها أعظم من إعادة الإنسان، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (يس:٨١) وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأحقاف:٣٣)(٢)

وقد كان تراث شيخ الإسلام ابن تيمية من أهم المصادر التي اعتمد عليها الشيخ في تجديداته للدرس العَقَدِيِّ، وتأثر به في كثير مما ذهب إليه كما سيتضح في المطلب التالي بمشيئة الله تعالى.

---

(١) قواعد المنهج ص ٢٢٢

(٢) قواعد المنهج ص ٢٢٣، ٢٢٤

المبحث الثالث

منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في تجديد دراسة (علم الكلام).

المطلب الأول: تجديد البيان في التفرقة بين النظر العقلي بمعناه الشرعي، والجدل الكلامي.

فارق كبير بين العقيدة، وعلم الكلام؛ فالعقيدة هي التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها، وهي الإيمان بالله سبحانه، وملائكته و كتبه ورسله، واليوم الآخر خيره وشره، بفهم صحيح سليم، أما علم الكلام فهو تاريخ الحوار العقدي بين المسلمين وغيرهم بالحجاج العقلي الذي تغلب عليه المفاهيم والمصطلحات الفلسفية. وإشكالية الدراسات الكلامية المعاصرة في الدرس العقدي الجامعي؛ أنها اعتمدت في عرض الفرق الكلامية على الوصف أكثر من النقد، من هنا اتجهت جهود الشيخ التجديدية إلى إضافة النزعة النقدية في منهجه في الدرس العقدي.

تقوم الرؤية التجديدية للشيخ على التأسيس للمنهج النقدي في تدريس علم الكلام بوصفه جزءًا من الدرس العَقَدِيِّ المعاصر، حيث يفرق الشيخ بين العقيدة وعلم الكلام، فالعقيدة الإسلامية بصفة عامة هي الإيمان بالله ورسوله، من خلال ما جاء في القرآن والسنة وشروح السلف لما ورد فيهما عن الإيمان، وأركانه، وأنواع التوحيد وشروطه...إلخ، أما علم الكلام فلا يعني العقيدة بمعناها المطلوب للمسلم، فهو علم مغاير للعقيدة كما هي في العصر النبوي وعصر الراشدين في التلقي والفهم في كثير من المسائل والقضايا فعلماء الكلام (لم يراعوا قاعدته، ويلتزموا بخطواته، إذ أنهم بدلًا من البدء بالنظر فيما قاله الله ورسوله ﷺ، بدأوا بما رأوه بعقولهم كما فعل المتكلمون، أو بما ذاقوه بوجدانهم -كما فعل الصوفية-فإذا وجدوا السنة توافقه وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضًا أو حرفوها تأويلًا)(١)

(١) قواعد المنهج السلفي ص ٥٥، ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ٤٧

وتكررت صورة الانحرافات في علم الكلام القديم والتي كانت بسبب تأثر المتكلمين بالفلسفات اليونانية، تكررت في الفكر المعاصر بالتأثر بالثقافة الغربية، ونتيجة لضآلة المعرفة بأصول الإسلام وفروعه، مما أدى إلى أن: (أصبح الكثيرون يتبنون الأفكار والفلسفات الغربية، ويعطونها شكلًا إسلاميًا، زاعمين بذلك أنهم يدافعون عن الإسلام، ويقدمونه إلى الأجيال الشابة في ثوب عصري؛ كالقول مثلًا بديمقراطية النظام الإسلامي، أو اشتراكية وتحرر نظمه، وقابليته للتطور، وغيرها من المصطلحات اللصيقة بفلسفة الغرب وحضارته وتاريخه، ولها مدلولاتها ومعانيها المختلفة تمامًا عن مقابلها في الإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه)[١]

وقد كانت من المشكلات التي واجهت الشيخ هو تدريسه لعلم الكلام –كما سبق بيانه– والذي يشمل تدريس آراء الخوارج، والمعتزلة والأشاعرة، والشيعة. ولم يكن لمنهج الصحابة ذِكر بين تلك الفِرق لا على سبيل العرض ولا على سبيل النقد إلا نادرا[٢]وقد وفق الله الشيخ في تجديد الطريقة التي تُدَّرس بها الفرق الكلامية، بحيث تجمع بين المنهج الوصفي لآراء تلك الفِرق، والمنهج المقارن الذي يبين موقف السلف منها، وحسب قوله: (النظرة المقارنة أيضًا تعطينا صورة دقيقة عن التغير الحادث بعد عصر الصحابة والتابعين، من حيث المنهج، ومن حيث القضايا التي كان يهتم بها أهل القرون الأولى بالمقارنة بالعصور التي تلتهم)[٣]

وهذه الطريقة المقارنة بين منهج القرآن والسنة والمنهج الكلامي، ليست اتهامًا لنيات الطلاب والمتخصصين، بل هي لغرض أسمى وهو: (التحذير من الفُرقة والاختلاف، والتنبيه إلى الانحرافات العقائدية التي انحدرت إليها هذه

(١) قواعد المنهج السلفي ص ٥٥

(٢) راجع: د. حسن الشافعي: المدخل لدراسة علم الكلام ص ٧٢ وما بعدها، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م

(٣) قواعد المنهج السلفي ص ٥٥

الفِرق...وأفضل الطرق لتصحيح العقائد لذوي النوايا الحسنة أن نتتبع مواطن الخلل والخطأ في عقائد هذه الفرق لنتجنب الانزلاق إليها من جديد، وعلى ذلك يكون أحسن الطُرُق للتحصن ضدها هو التعريف بعقائدها ومناقشتها بالحجة، مع مقارنتها بالعقيدة الصحيحة المتلقاة عن السلف بأدلة الكتاب والسنة.)(١)

وكان من الأمور المهمة في هذه الطريقة -الجديدة في مكانها، القديمة من حيث وجودها-عدم الاقتصار على الرد أو النقد، بل بيان منهج القرآن والسنة في المسائل محل الدراسة، مما نتج عنه ما يمكن تسميته علم العقيدة المقارن، ومن مميزات تلك الطريقة أنها في أسلوب سهل مبسط مشوِّق للطلاب بخلاف كتب الأمالي، والشروح لعقيدة السلف، وهذا ليس تقليلا من أهميتها، بل المقصد أن الشيخ أوجد مكانًا للدرس العَقَدِيِّ السلفي في الإطار الجامعي وسط زخم أكاديمي لا يوجد به مثل هذا النوع من الدرس، لكن بطريقة في التأليف مغايرة ومعاصرة.

وليس من شأننا هنا البيان التفصيلي لآراء الفرق الكلامية كما عرضها الشيخ، وهو أمر متاح في كثير من المراجع والمصادر المتخصصة، بل المقصد هو بيان الجانب التجديدي الذي ابتكره الشيخ في تدريس الفِرق، مع نقدها ومقارنتها بمنهج علماء الحديث والسنة، وهو ما لم يكن متوفرا في أغلب الدراسات الكلامية المعاصرة له بصورة واضحة إلا ما هو من قبيل الرد المجمل، وليس ردًا بناء على منهج واضح كما هو عند الشيخ مصطفى حلمي.

وبصورة إجمالية يبين الشيخ حجج المتكلمين في الدفاع عن أنفسهم في أربع حجج هي:

الأولى: إن ظهور علم الكلام في زمن أتباع التابعين استتبعه استحسان وتم تدوينه بالكتب، فيعد من هذا الوجه من قبيل البدعة الحسنة، به انزاحت الشبه عن قلوب أهل

(١) السابق، ص ٧٤

الزيغ، وثبت قدم اليقين للموحدين.

الثالثة: أن أدلة العقول لازمة لبيان صحة أصول الدين وحقائقها،لأن المنهاج الصحيح في معرفة حق الكتاب وصدق الرسول ﷺ مستند من البراهين العقلية.

الثالثة: إذا جُعِل أصل الدين الاتباع -لا العقل-فإن ذلك مخالفة للكتاب؛ لأن الله تعالى ذم التقليد في القرآن، وندب الناس إلى النظر والاستدلال آمرًا بمجادلة المشركين بالدلائل العقلية، ومن تدبر القرآن ونظر في معانيه وجد تصديق هذا الأصل.

الرابعة: يروي القاضي عبدالجبار (٤١٥ه) أنه لما مَنَع الرشيد من الجدال في الدين وحَبَس أهل الكلام، كتب إليه ملك السند يطلب من يناظره، فوجه إليه الرشيد قاضيًا لم يُحسِن الجدل، فاضطر إلى البحث عمن يناضل عن الدين، وأخرج أهل الكلام من السجن، ووقع اختياره على أحدهم وبعثه للمناظرة.(١)

ب عد هذا العرض المجمل لحجج المتكلمين في إثبات منهجهم والتي تعتمد في مجملها على أن (العقل) أصل أساس في إثبات مسائل العقيدة، نبين منهج الشيخ في عرض حجج المتكلمين والرد عليها.

بعد بيان حججهم يبين الشيخ رأي علماء السلف في هذه الحجج والاعتراض عليها، ويمكن بلورة رأيه في العناصر التالية:

أولًا:منهج أهل الحديث والسنة هو ضرورة التفرقة بين النظر العقلي بمعناه الشرعي، والجدل الكلامي، فهو خلاف منهجي في الأساس، فمن حيث الأحكام الشرعية فإن العقل لا يوجب شيئًا؛ فلا دور له ولا حظ في تحليل أو تحريم أو تحسين أو تقبيح ما لم يرد به الوحي، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(الإسراء: ١٥) وقوله:﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

(١) قواعد المنهج السلفي: ص ٨٣-٨٤

وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٥) وقال تعالى حاكيًا عن الملائكة فيما خاطبوا به أهل النار:﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام ١٣٠)

فتبين من هذه الآية أنه عز وجل أقام عليهم الحجة ببعث الرسل، فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم يكن بعثة الرسل شرطًا لوجوب العقوبة، وإذا تأسس الإيمان على العقل لأدى ذلك إلى إنكار دور الرسل، وكأن وجوده وعدمه بمنزلة واحدة، أو كأنهم اقتصروا في دعوتهم على الشرائع وفروع العبادات دون أصول الدين[١].

هذا من حيث مصادر الأحكام الشرعية على مستوى العقيدة والشريعة، أما دور العقل في التلقى فهو أمر لا ينكره أهل الحديث والسنة من حيث إن: (العقل آلة لإقامة العبودية ولإدراك الربوبية، فهو آلة التمييز بين القبيح و الحسن، السنة والبدعة، الرياء والإخلاص، ولولاه لم يكن تكلف ولا توجه، ولا أمر ولا نهي)[٢]

ويدل على ذلك آي القرآن الكريم التي تبين أن العقل سبب الإدراك وإقامة الحجة[٣] لقوله عز وجل:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل: ٦٧) وقال:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق:٣٧) وقال تعالى مخبراً عن أصحاب النار:﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك:١٠)

(١) انظر السابق: ص ٨٥-٨٦

(٢) السابق، ٨٦، وانظر: وجلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ص ١٨٠، تحقيق د. علي سامي النشار، د. سعاد عبدالرازق، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠م.

(٣) انظر: قواعد المنهج السلفي ص ٨٦

ثانيًا: بناء على ما سبق يؤكد الشيخ على أن منهج القرآن والسنة لا ينكر دور العقل في التلقي والنظر والتمييز، بل الذي ينكره منهج السلف هو طريقة أهل الكلام من حيث إنهم:

أ- أسسوا طريقتهم على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الباري أولًا، بينما ينقطع أتباع هذه الطريقة عن النبي ﷺ وصحابته.

ب-من مقاصد طريقة أهل الكلام في قولهم بالنظر العقلي؛ هو طريقتهم في الاستدلال بالأعراض والجواهر وحدوث الأجسام، بينما علمنا من سيرة النبي ﷺ أنه لم يستدل بهذه الأدلة الفلسفية، وكذلك منهج الأنبياء والرسل يجعلنا ندرك أنهم لم يشتغلوا بتلقين أتباعهم هذه الطريقة، بل انشغلوا بتعليم الشرائع والآداب..إلخ.(١)

ثالثًا:أما ما يدعيه أهل الكلام وخاصة المعتزلة، من أن أصل الدين العقل لا الاتباع، ويتهمون القائلين بوجوب الاتباع بأنهم مخالفون للقرآن –كما سبق بيانه في حججهم- ويقولون كذلك: إن الله تعالى ذم التقليد في القرآن، وندب الناس إلى النظر والاستدلال آمرًا بمجادلة المشركين بالدلائل العقلية، ومن تدبر القرآن ونظر في معانيه وجد تصديق هذا الأصل.

في رده عليهم يؤكد الشيخ على ضرورة التفرقة بين (التقليد المذموم) الوارد في آي القرآن الكريم، و الاتباع المأمور به شرعًا والوارد كذلك في آي القرآن الكريم، حيث يذهب إلى أنه: (ينبغي التمييز بين لفظي التقليد والاتباع، فالتقليد هو في قول الغير بلا حجة، أما الاتباع فهو السير على منهاج رسول الله ﷺ..)(٢)

(١) انظر: قواعد المنهج السلفي: ص ٨٦، وابن الوزير اليمني: البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع، تحقيق: مصطفى عبدالكريم الخطيب، ص ٥٥، ط١، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤٠٩ه، ١٩٨٨م.

(٢) قواعد المنهج السلفي: ص ٨٧

رابعًا: أما القصة التي شنع بها أهل الكلام على المحدثين من إرسال ملك الروم إلى هارون الرشيد، وطلب المناظرة وعجز المحدِّث عنها، وسخرية أولئك الفلاسفة. والجواب عليهم في ذلك: (أنهم أرادوا الاستدلال على أنهم أجدل من المحدثين، فذلك مُسلَّم لهم، بل مُسلَّم لهم أنهم أجدل من رسول الله ﷺ، لأن الكل يعلم أنه لم يصدر شيء من الكلام ومجادلة الفلاسفة من رسول الله ﷺ، ولا جميع الصحابة رضي الله عنهم، ولا اشتغلوا بممارستهم لما رواه أهل اللجاج، ولا يلزمهم من ذلك أنهم أقل معرفة بالله، ولا أقل نصرة لدين الله، ولو أحبوا الخوض في علم الكلام واشتغلوا بتعلمه وتعليمه لبلغلوا فيه ما أرادوا وعرفوا ما عرف المتكلمون وزادوا، ولكنهم أعرضوا إعراض مستغن عنه، واستقراء السير والأخبار تدلنا على أنهم لم يتبعوا هذا الأسلوب في الدعوة)(١)

ومن تجديداته-حفظه الله- في الرد على دعواهم السابقة في مجادلتهم ملوك وأمراء أهل المِلل. الرد عليهم من خلال واقع الدعوة النبوية في إرسال الرسل والمبعوثين إلى الملوك والأمراء والزعماء في عصره ﷺ، من ذلك إجابات الصحابة من القرآن الكريم، على أسئلة النجاشي ملك الحبشة إبان هجرتهم إليها، و إرساله رُسُلًا إلى هرقل، وإلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وإرساله أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين يعلمهم الإسلام، وبعث عليًا ومعاذًا وأبا موسى إلى اليمن.(٢)

و هذا المنهاج الذي اتبعه الرسول ﷺ، كما أمره الله عزو وجل، اقتصر على مجرد الدعوة إلى الإسلام، والاتكال في إيضاح الحجة على ما قد فعله الله تعالى لهم من إظهار المعاني، وتقديم البينات الواضحة للعقول، إذ قال الله تعالى تسلية لرسوله ﷺ وبيانًا لحد ما يجب عليه: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

(١) قواعد المنهج السلفي: ص ٨٨

(٢) السابق: ص ٨٨

(آل عمران من الآية ٢٠) أي بالذي في بواطنهم وما أقام عليهم من الحجة، إذ لا مطمع في هداية المرء والجدل والحجة، وكيف يطمع فيهم وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم جادلوه يوم القيامة، وأنكروا ما صنعوا من معاصيه سبحانه وتعالى حتى شهدت عليهم أيديهم وأرجلهم، فقالوا لأعضائهم لم شهدتم علينا؟[1]

وللسؤال المتوقع بعد هذا الموقف من الجدل الكلامي، يورد الشيخ تساؤلًا مهمًا هو: وإن قيل إن الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ بالجدل في قوله تعالى﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل من الآية (١٢٥)، فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى بين ذلك بالتي هي أحسن، ولم يأمره بمطلق الجدال فامتثل ما أمره، ومع ذلك فلم يُنقل عنه أنه جادل بأساليب المتكلمين و الجدليين، فثبت أن التي هي أحسن ليست سبيل المتكلمين، مثل ما علم الله ورسوله أن يحاجهم به في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ..... عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ ٤٦) وتنفيذه للأمر الإلهي﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء ٢١٤) وكثير من الأمثلة الأخرى في القرآن الكريم عن محاجة الأنبياء وجدالهم، كما في سورة هود، ومحاجة يوسف لصاحبي السجن[2].

الوجه الثاني: أن الله تعالى أجمل كيفية الجدال بالتي هي أحسن في تلك الآيات، وبينه في غيرها بتعليمه في القرآن العظيم لنبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:١٩- ٢٠) فهذه الآية

(١) انظر:السابق، ص ٨٩ وابن الوزير: الروض الباسم: ج٢ ص ١٣١

(٢) قواعد المنهج السلفي: ص ٨٩

واضحة الدلالة على الأمر بالاقتصار على مجرد الدعاء إلى الإسلام، والاتكال في إيضاح الحجة على ما قد فعله الله تعالى لهم من خلق العقول وبعثة الرسول، وإنزال الآيات وإظهار المعجزات وتكثير مواد البينات[١]

المطلب الثاني: منهجية التجديد في تدريس الفرق الكلامية لدى الشيخ الدكتور مصطفى حلمي.

قام الشيخ بالتأليف في الفِرق الكلامية، ويتضح تجديده في استخدام منهجية مركبة من عدة مناهج تكوّن في مجموعها أسلوب عرض مُبَسَّطٍ مشوِّق للطلاب والمتخصصين على حد سواء، فهو يبدأ **بالتأريخ**[٢] لأسباب نشأة كل فرقة، ثم **الوصف التحليلي**[٣]لعقائدها والأسس التي قامت عليها، حيث ينبه فضيلته إلى أن: (عَرضنا لأسمائها وعقائدها لكي نحافظ على ما تتطلبه الأمانة العلمية من بسط لوجهات النظر المختلفة التي سجلتها صفحات التاريخ)[٤]، ثم **مقارنة** عقائدها بعقيدة السلف، وبيان ما في عقائد الفرق من انحرافات أو خروج عن المنهج الإسلامي، وتقوم أسس **النقد** والرد والترجيح على القرآن والسنة بفهم السلف رضي الله عنهم وفي نهاية بحث كل فرقة بتلك المناهج السابقة يقوم بعرض **تركيبي** ملخص لما تم تحليله و نقده، مع إطار مرجعي نجد فيه من العلماء: ابن تيمية، وابن الوزير اليمني في كثير من المواضع.

والجِدة لدى فضيلته تتركز أكثر في الجانب التحليلي النقدي المقارن، وقد احتلت دراسة الفِرق الكلامية بمنهجيته الجديدة أغلب صفحات كتابه: (قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي) حيث تناول تحت عنوان:(انحراف عقائد الفرق

(١) انظر: قواعد المنهج ص ٩٠، وابن الوزير: الذب عن سنة ابي القاسم ج٢ ص ١٣٨، ١٤١

(٢) انظر:قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: ص ١٠٣، ١١٠، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٧، ١٦٣.

(٣) انظر:السابق: ص ١٠٦، ١١٤، ١٢٨، ١٣٨، ١٦٤.

(٤) السابق: ص ٩٤

عن عقائد السلف؛ فِرق: (الخوارج، الشيعة، المرجئة، القدرية، الجهمية، المعتزلة، الأشاعرة)[1]والتي جاءت في محاضراته للطلاب من خلال كتابه: بحوث في العقيدة الإسلامية.

و سرد آراء الشيخ ومنهجه بالتفصيل في دراسة وتدريس كل فرقة لا يتسع لمقصود البحث، والمقصود هو منهجية التجديد، بيد أني فيما تبقى من سطور هذا المطلب أود بيان خلاصة كل فِرقة خاصة الفرق المعاصرة، أو التي لها ممثلين معاصرين، وإجمالًا الفِرق الكلامية هي انحراف عن عقيدة السلف، وأهم مظاهر الانحراف عند تلك الفِرق، يمكن اختصارها في الآتي:

١-الخوارج أصبحوا علمًا على (تكفير) المسلمين من مرتكبي الكبائر والحكم عليهم بالخلود في النار.

٢-مذهب(المرجئة) يشير إلى الاستهانة بأوامر الدين ونواهيه، حيث فصلوا بين القول والعمل، وفي صفوفنا الكثير من هؤلاء الذين يهملون في الكثير من آداء الصلوات والصيام والزكاه بزعم أن (الرب رب قلوب).

٣-كان اسم القدرية عنوانًا على نُفاة القدر، ومخالفة للعقيدة الإسلامية بالإيمان بالقضاء والقدر.

٤- الجهمية ابتدعوا بدعًا بآرائهم ليس فيها كتاب ولا سنة، ثم كفروا من خالفهم فيما ابتدعوه، ويعبر موقفهم عن مخالفة مقصودة للعقيدة من الكتاب والسنة، وإحلال الآراء محلها، ثم ارتكاب ما هو أشنع؛ حيث يتهمون من خالفهم بما يحلو لهم.

٥- الشيعة أساس انحرافاتهم مسألة الإمامة أو الخلافة، وعنها تفرعت كل انحرافاتهم العقائدية. وقد بين الشيخ الظروف التاريخية لنشأتهم، ثم جوانب

(١) انظر: السابق: ص ٩١ وما بعدها.

انحرافاتهم العَقَدِيِّة لدى الباطنية، والإثناعشرية، وموقف أهل السنة من مسألة الإمامة أو الخلافة(١).

٦- المعتزلة: اشتهروا بأنهم أصحاب الرأي والاتجاه العقلي، وفي مقابلهم أهل النص أو السمع، يناقش الشيخ مدى صحة هذه المقولة، بالتساؤل: (وهل جاء الرسل بمناهج لا تتفق مع أدلة العقول، واقتصر دورهم على الإبلاغ فحسب بحيث أصبح المتقيدون بطريقتهم أهل النص والسمع)

يقول: (سيتضح لنا من خلال هذا الكتاب أن هذا الرأي يجانب الصواب، فإن الرسول ﷺ:(بيَّن بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه، والرسل بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها، كما ضرب الله تعالى في القرآن من كل مثل)(٢)

ومن القضايا المهمة في الفكر الكلامي التي نشأت عن المعتزلة؛ قضية المصطلحات غير المنضبطة بالشرع ومن ذلك أنهم:

١- الذين فجروا هذه القضية، أي ابتداع مصطلحات ومسميات من عندهم، ثم تقويم المسلمين وفق تصوراتها، ومع الأسف فإن تأثيرهم المنهجي المعكوس ما زال فعَّالًا في آراء بعض الكُتّاب والباحثين المعاصرين.

٢- ابتدعوا مسمى (المنزلة بين المنزلتين) بينما المنهج العلمي الصحيح: (وميزان الاعتدال الحق في الحكم على المصطلحات يقتضي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كأسماء (الإسلام) و(الإيمان) و (الإحسان) أو (الظالم لنفسه) و

(١) انظر قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: الخوارج: ١٠٥ وما بعدها، الشيعة ١١٦ وما بعدها، المرجئة ١٢٩، القدرية ١٣١ وما بعدها، ١٤٥ وما بعدها، المعتزلة ١٥٤ وما بعدها، الأشاعرة ١٦٤ وما بعدها.

(٢) قواعد المنهج السلفي:ص ١٢، بحوث في العقيدة الإسلامية: ص ١٣٠وما بعدها، منهاج السنة النبوية ج٣ ص ١٠٧

(المقتصد) و(السابق بالخيرات))[١]

ومن شبهات المعتزلة دعواهم القول بـــ: (العقل) وما أشيع أنه يقابل النقل، وهو من الشبهات الاعتزالية التي انطلت على كثير من العلماء والباحثين، وترسخ عند الكثيرين من الكُتاب في العقيدة أن العقل مضاد للنقل، وهو تصور مخالف للقرآن الكريم، وإن:(كل من يفكر بغير تحيز، ويسعى بالنية الصادقة؛ ليتأكد بعد الاطلاع والقراءة أن القرآن الحكيم حض على النظر، والاستدلال العقلي في آيات كثيرة تجل عن الحصر في هذا الحيز.)[٢]

لهذا فإن نقد مصطلح العقل كان من مرتكزات نقد الشيخ للمعتزلة، وتحذيره من: (الانزلاق إلى نفس البدعة، أي: اختراع مصطلحات ومسميات، ثم وضع المسلمين في قوالبها كما فعل المعتزلة قديمًا، ويفعل بعض الكتاب في عصرنا الحاضر بتقسيم المسلمين إلى فئات: (الاعتدال) و (الجمود) و (التطرف) و (الرجعية)..إلخ)[٣]

٧- الأشاعرة: في تناوله لنقد الأشاعرة، وهم التيار الأقرب لمنهج السلف في كثير من المسائل، خاصة ما يتصل بـــ: الإمامة، والموقف العقدي من الصحابة، وآل البيت، وعقائد اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء..إلخ، تقوم منهجية الشيخ مصطفى حلمي، على المرتكزات الآتية:

أولًا: البحث في مقاصد الأشاعرة التي دفعتهم إلى الخوض في علم الكلام حيث يذهب إلى أن: (الرغبة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة بخاصة، هي التي دفعت الأشاعرة إلى استخدام الكلام ظنًا منهم أنه المنهج الصحيح لهذا الغرض، ثم تبين

---

(١) قواعد المنهج السلفي: ص ١٣

(٢) قواعد المنهج ص ١٢، بحوث في العقيدة الإسلامية ص ١٣٩

(٣) بحوث في العقيدة الإسلامية ص ١٤٠، قواعد المنهج ص ١٣

لهم بعد التجربة بعد ذلك، فتحولوا عنه، ولعل أهم المتحولين إلى طريقة السلف هو الإمام أبوالحسن الأشعري نفسه، وقصة تحوله من الاعتزال إلى عقيدة الإمام أحمد بن حنبل تبرهن على ذلك، ومن الثابت أن كتاب الإبانة(١) وهو آخر كتبه، وهو دليل على استقراره على طريقة الإمام أحمد ومنهجه وعقيدته متابعة لطريقة السلف.)(٢)

ثانيًا: عصر التنزيل والتطبيق (عصر النبوة والصحابة) هو ما يجب أن يلتزم به المسلمون في عقيدتهم على مستوى الدرس والغرس، أما الآراء الكلامية الجدلية التي نشأت بين الأشاعرة و المعتزلة وفلاسفة المشرق، فهي مصدر لتاريخ الحوار العقدي في مجادلة المعارضين للإسلام على مستوى الحجاج العقلي الذي أدي إلى وجود الفرق الكلامية، ومن ثم فليست هذه الفرق هي المعبرة عن نقاء منهج القرآن والسنة في الاعتقاد، فعلى الرغم من اقتراب، المذهب الأشعري في كثير من المواضع من عقيدة السلف، إلا ان ما يتضمنه من جدل كلامي لا يتطابق مع أصول الدين في عصر النبي ﷺ والصحابة،(٣) فقد كان الوحي المعصوم هو المصدر الذي تلقى منه الصحابة بواسطة النبي ﷺ، وأرشدهم إلى منهج المحافظة عليها ونهاهم عن مخالفتها(٤). وليس معنى ذلك عدم اعتماد الأشاعرة على الوحي في آراءهم ومجادلاتهم لخصومهم من المتكلمين، بل معناه أنهم خلطوا القرآن والسنة بالمناهج الكلامية والمصطلحات الفلسفية.

ثالثًا: بيان المخالفات المنهجية بلا تكفير أو تعصب: ففي دراسته وتدريسه ونقده

(١) راجع: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: لأبي القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ت (٥٧١ه)، تحقيق: حسام الدين القدسي. ص ١٥٢ وما بعدها، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩ه

(٢) قواعد المنهج: ص ١٣

(٣) بحوث في العقيدة الإسلامية ص ١٢ وما بعدها.

(٤) انظر: السابق ص ١٥

لآراء المتكلمين ومنهم الأشاعرة؛ لم يلجأ الشيخ مصطفى حلمي إلى تكفير مخالفيه، أو الحث على كراهيتهم، بل بيان منهج القرآن والسنة في التلقي والاعتقاد، فمن خلال الاستقراء لكل مشروعه الفكري ومؤلفاته في العقيدة، لم نجد لفضيلته أيٍ من هذه النزعات، فهو يمثل مدرسة وسطية في الاعتدال في بيان خطأ المخالف، والأصول المنهجية لتلك الأخطاء، ثم يبين الوجه الصحيح من القرآن والسنة، دون تكفير أو تفسيق، (فمن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل. قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر)(١)

و كذلك من منهجية الشيخ بيان آراء العلماء، وأوجه مخالفاتهم مع الاحتفاظ بتقديرهم، وجهودهم في خدمة الإسلام(٢). فالخلاف سنة كونية عامة، ومصدر البيان التطبيقي للدين عقيدة وشريعة هو النبي ﷺ، (ليس أحدٌ إلا ويؤخذ من قوله، ويترك من قوله إلا النبي ﷺ)(٣)

---

(١) السابق: ص ١٧٤

(٢) راجع مثلًا: بحوث في العقيدة الإسلامية ص ١٤٠ وما بعدها.

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (الحافظ أبوبكر البيهقي ت ٤٥٨هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ١٠٧، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٤هـ.

المبحث الرابع

منهج الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في تجديد الدرس العَقَدِيِّ في تدريس التصوف.

المطلب الأول: ملامح الدراسات الصوفية في النصف الثاني من القرن العشرين، وأثرها في الدرس العَقَدِيِّ.

تُعد قضية التصوف من القضايا المهمة في موضوعات العقيدة الإسلامية، لما لها من علاقة بالعقيدة إيجابًا وسلبًا، فعلى المستوى الطُرُقي فقد انتشرت الطرق الصوفية في كثير من البلاد الإسلامية منذ بداية ظهورها في مصر من القرن السادس الهجري، ثم ازدهارها على مستوى التأليف في العقائد والأشخاص والأذكار والأوراد والأشخاص الخاصة بكل طريقة بداية من القرن السابع الهجري(١) إلى الآن.

ومع تطور المؤسسات التعليمية وظهور التعليم الأكاديمي الجامعي في مصر، أصبح التصوف من المقررات الدراسية في قسم الفلسفة بكلية الآداب التي أنشئت سنة ١٩٠٨م بالجامعة المصرية(٢)، وكان ممن اهتموا فيها بالتأليف في مجال التصوف وتدريسه؛ د.محمد مصطفى حلمي(١٩٠٤-١٩٦٩م)(٣) وتلاميذه، حيث ازدهرت الدراسات الصوفية بها منذ ظهور جيل الرواد وتلاميذهم سنة ١٩٢٣م، ومنهم د.عبد الرحمن بدوي (١٩١٧-٢٠٠٢م) حيث ربط بين الفلسفة الصوفية والمذهب الوجودي(٤)، ثم د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني (١٩٣٠-١٩٩٤م).(١) ود.

---

(١) انظر: د.عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، صفحات:١٨ وما بعدها، ٥٣ وما بعدها، ٦٢، ١٨٧ وما بعدها دار المعارف، القاهرة، دت.

(٢) راجع: د. رؤوف عباس أحمد: تاريخ جامعة القاهرة، ص ٦، القاهرة، دت.

(٣) من مؤلفاته: الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م- ابن الفارض والحب الإلهي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤) انظر له:الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، طُبع في القاهرة ١٩٤٧م، وفي وكالة المطبوعات بالكويت، ودار القلم ببيروت، عام ١٤٠٣ه، ١٩٨٢م- شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م- الإنسان الكامل في الإسلام- شطحات الصوفية أبو اليزيد =

حسن حنفي(٢) و في كلية الآداب جامعة الإسكندرية التي أنشئت ١٩٣٨م،نجد من كبار المهتمين بالتراث الصوفي د. أبوالعلا عفيفي (١٨٩٧-١٩٦٦م)(٣)

وتعد جامعة الأزهر (تحول من جامع إلى جامعة عام ١٩٣٦م)(٤)، خاصة أقسام العقيدة والفلسفة بكليات الدعوة وأصول الدين التي أنشئت بمرسوم ملكي عام ١٩٣١م، وأصبح لها نظائر في أغلب مناطق مصر، والتصوف من مقرراتها الدراسية، وكان الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود (١٩١٠-١٩٧٨م) هو أول من درَّس هذه المادة، في كلية أصول الدين من خلال كتاب (المنقذ من الضلال) لأبي حامد الغزالي، بعنوان:(قضية التصوف المنقذ من الضلال).(٥) وغير ذلك من مؤلفاته التي كان يلقيها على طلابه بجامعة الأزهر.

ومن المؤسسات التعلمية التي اعتنت بدراسة التصوف ؛ كلية دار العلوم التي كانت تسمى من قبل مدرسة دار العلوم، ويرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٨٧٢م، و قد

= البسطامي- رسائل ابن سبعين، ترجمة كتاب: (ابن عربي حياته ومذهبه) للمستشرق آثين بلاثيوس، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م

(١) من مؤلفاته: ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ط١، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣م، و مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط٣، القاهرة، ١٩٧٩م

(٢) أنظر له: من الفناء إلى البقاء محاولة لإعادة بناء علوم التصوف، مجلدين، الجزء الأول الوعي الذاتي، والجزء الثاني:، ط١ دار المدار الإسلامي، بني عازي، ليبيا، ٢٠٠٩م

(٣) من مؤلفاته:-الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٥م- التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م- ومن ترجماته: كتاب(في التصوف الإسلامي وتاريخه، للمستشرق الفرنسي رينولد نيكلسون)، القاهرة، لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٧٤م- ومن تحقيقاته كتاب: فصوص الحِكم، لمحيي الدين ابن عربي(ت٦٨٣ه)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

(٤) راجع: د. محمد كمال السيد محمد: الأزهر جامعًا وجامعة، ص ٣٤٥ وما بعدها، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

(٥) إصدار: دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، وللدكتور عبدالحليم محمود كثير من المؤلفات عن التصوف وأعلامه، منها: قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ط٣، القاهرة، بدون تاريخ.

تطورت إلى أن أصبحت إحدى المدارس العليا، وظلت كذلك إلى أن ضُمت إلى جامعة القاهرة ١٩٤٦م، وأصبحت تسمى (كلية دار العلوم) تخرج متخصصين في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وقد اهتم علماء دار العلوم بدراسة التصوف من منظور نقدي، ومن تلك المؤلفات المبكرة التي أذكرها على سبيل المثال لا الحصر؛ ما ألقاه الدكتور محمود قاسم، على طلابه: في نقد الفلسفة الصوفية لمحيي الدين ابن عربي(١) والمقرر على الفرقة الرابعة العام الدراسي ١٩٧١م، ١٩٧٢م(٢)، ومن الدراسات التي عمدت إلى التحليل النفسي للتجربة الصوفية د. محمد كمال جعفر، في كتابه: (التصوف طريقًا، وتجربة، ومذهبًا)(٣) ثم تطورت الدراسات النقدية بصورة واضحة بعد هذا الجيل، حيث اتسعت الدراسات النقدية التي انتقلت من الوصف إلى التحليل النقدي المقارن، بمقارنة عقائد وممارسات الصوفية في ضوء القرآن والسنة، وبفعل النبي ﷺ وصحابته، ومنها: ما كان يلقيه د.عبدالفتاح أحمد الفاوي، من خلال كتاب: (التصوف الوجه والوجه الآخر)(٤) وكذلك د.محمد السيد الجليند: قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة(٥) وكذلك مؤلفات الشيخ الدكتور مصطفى حلمي، التي تميزت باتساع دائرة التأليف في هذه القضية، ومنهجية التجديد في الدرس والتدريس كما سنحاول بيانه في المطلب القادم بمشيئة الله تعالى.

(١) راجع له: دراسات في تصوف محيي الدين بن عربي، القاهرة، ١٩٧١م

(٢) انظر السابق: ص٢

(٣) طبع بالقاهرة، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠م.

(٤) راجع: د. عبدالفتاح أحمد الفاوي: التصوف الوجه والوجه الآخر معه تحقيق كتاب أصول الملامتية وغلطات الصوفية لأبي عبد الرحمن السُّلَمي (٤١٢هـ)، ط١، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٤م، وط٢، ١٩٩٥م.

(٥) ط٤، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٢م.

المطلب الثاني: منهج البحث في قضايا التصوف لدى الشيخ مصطفى حلمي.

بوصفه من أساتذة كلية دار العلوم، التي بدأ عمله فيها منذ عام ١٩٧٢م، فقد اهتم بدراسة التصوف، وغلبت النزعة التحليلية النقدية على مؤلفاته في هذا المجال، وقد جاءت جهود الشيخ التجديدية في مرحلة غَلَبت فيها الأفكار والعقائد والممارسات الصوفية على المستوى الشعبي الطُرُقي، وعلى المستوى الأكاديمي التدريسي، ويمكن بلورة تلك المواقف من التصوف والصوفية –من خلال المطلب السابق– في ثلاثة مواقف هي:

أولها: القبول بكل أنواع وممارسات وعقائد الصوفية، وهو ما يشيع غالبًا من أفكار لدى التصوف العامي أو الشعبي.

وثانيها: الدراسات الوصفية للفكر الصوفي، مع التبجيل لكل التراث الصوفي، مما يوحي بقبوله على أنه عقيدة الإسلام ومنهجه في التربية والإصلاح.

ثالثها: الدراسات المعادية أو الرافضة لكل ما ينسب إلى التصوف والصوفية، إما بنسبتها إلى البدع، أو إلى مصادر خارجة عن الدين الإسلامي.

ويبين الشيخ دوافعه للتأليف في مجال التصوف وتدريسه رغم كثرة الدراسات في هذا المجال، لعدة أسباب منها شدة الحاجة إلى القول الفصل أمام مشاكل أصبحت ملازمة لتاريخ المسلمين المعاصر، ومنها التصوف، ومناقشة ما فيه من قضايا وممارسات مخالفة للقرآن والسنة: (بأدلة تفصيلية، فلا يكفي رفض التصوف ونبذه بلا مناقشة فنحن في حاجة إلى مقارعة الحجة بالحجة، لاسيما أن الصوفية قد برعوا ولهم تاريخ طويل في إلباس التصوف ثوبًا إسلاميًا قشيبًا،..إنهم برعوا في تلقف شباب المسلمين الباحثين عن الحق، فيقعون في شباكهم، وكثير منهم على درجة عالية من الثقافة والعلم، ولكنه يحتاج إلى قوة جذب أخرى، تتساوي في قوة جذب الصوفية، وأساليبهم العاطفية المستمدة من الوجدان، والمغرية بعواطف المحبة والرجاء في الله

تعالى.)[1]

ومن أهم الدوافع التجديدية كذلك؛ الانتقال من الوعظ والرفض، إلى تقديم البديل الإسلامي الصحيح للتصوف وممارساته وطرقه، ويعد هذا الجانب من الجوانب المهمة في تجديد الدرس العقدي المعاصر في الموقف من التصوف، فالرفض الوعظي بالوعد والوعيد، ومنطق التهديد بالآخرة لا يكفي، بل من الوسائل غير المجدية في مجال الدرس والدعوة، هذا لأن: (الأدلة العقلية وحدها لا تكفي لإشباع النوازع الباحثة عن طمأنينة النفس، ويقين القلب، وقد جاء الإسلام مخاطبًا الإنسان في كينونته كلها، العقلية والنفسية والعاطفية جميعًا، ولذا فإن السبيل إزاء هذا التصوف هو تقديم البديل-أي الإسلام في شموله وتكامله- لا في ثوب العقل كما يفعل المتكلمون والفلاسفة، ولكن بتقديم النماذج في الأشخاص الذين فهموه وطبقوه وساروا على طريق النبوة.)[2]

منهجه في الدرس الصوفي:

١-المنهج التركيبي: دراسة حياة الأوائل وتأصيل حياة الزهد الإسلامية من منابعها، من حيث تفاعلها مع الحياة والناس، وجمع ما تناثر عنهم بمنهج تركيبي يعيد النظرة المكتملة لحياتهم، لهذا فقد استغرق التأليف عن الزهد في حياة المسلمين الأوائل صفحات مطوَّلة من مؤلفاته، للتدليل على سلامة سلوكهم المتوافق مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد عاشوا طبقًا للحياة الإسلامية الصحيحة وقاموا بصياغتها على هدي الإسلام.[3].

٢-المنهج الاستردادي: ويتضح المقصود به من خلال قول الشيخ: (وسنحاول

---

(١) د. مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف ص ٩، ١٠

(٢) د. مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف ص ١٠

(٣) السابق: ص ١٠، ١١

باتباعنا المنهج الاستردادي أن نتخذ من السلف بداية لدراسة أحوال المسلمين في العصور الأولى عبادة وسلوكًا، وكيف هبت رياح التغيير فألقت بالبعض بعيدًا عن الأصول الإسلامية)(١)

٣-المنهج المقارن: وهو من أهم المناهج التي استخدمها الشيخ، وحسب وصفه: (سنختط طريقنا بحيدة علمية واقتناع بسلامة المنهج المقارن بين الأصول الإسلامية في ذاتها، وبين ألوان الفكر والسلوك المتعددة، أي في دوائر علم الكلام والفلسفة والتصوف.)(٢)

وهي ليست مقارنة من حيث المنهج البحثي التأليفي والتدريسي فحسب، بل من حيث المقارنة الإيمانية والأخلاقية بيننا وبين أهل القرون المفضلة بوصفهم قدوة في الإيمان والسلوك والأخلاق، لأن الغرض: (الدعوة إلى تصحيح العقيدة والسلوك باتباع طريقة الاقتداء، ثم معرفة أقدارنا بالمقارنة بين أهل القرون المضلة، والمتبعين لهم بإحسان...وإقناع المتطلعين لحياة الوجدان، وإنعاش القلوب إن حياة الزهد هي البديلة لما يبحثون عنه في التصوف فلا يجدونه فيه، وإن وجدوا فليس سوى ألوان من البدع وصنوف من ثقافات الأمم الأخرى.)(٣)

٤-اتخاذ المنهج الوسطي من خلال القرآن والسنة، في نقد التصوف، أي المنهج الوسط بين طرفين، أحدهما: يؤيد التصوف عقائد وممارسات تأييدًا مطلقًا. وثانيهما: يهدمه من أساسه يلفظه ويستبعده(٤).

ويذهب الشيخ إلى أن الدراسات التراثية التي تناولت التصوف سواء على المستوى النقدي، أو الوصفي، تنحصر في تيارات ثلاثة:

(١) السابق: ص١٥

(٢) السابق: ص ٩، ١٠

(٣) د. مصطفى حلمي: مع الزهاد الأوائل ص ١٢، ١٤

(٤) ابن تيمية والتصوف: ص ١١

أولها: كتابات المؤيدين للتصوف والمدافعين عنه؛ كالكلاباذي، والقشيري، والغزالي..إلخ.

الثاني: المعارضون للتصوف من أغلب الفقهاء والمتكلمين طوال العصور، يمثله اتجاه ابن الجوزي، وهذا الاتجاه قد لا يسلم من التحيز، ويفتقد النظرة العلمية الصحيحة، إلى جانب تأثره الشديد بشيخه ابن عقيل، الذي كان يرى في الصوفية إما أهواء متبعة، أو رهبانية مبتدعة.

الثالث: الموقف الوسط وهو الذي يعتمد على القرآن والسنة، وعصر النبوة والصحابة مرجعًا في الحكم على الممارسات والأفكار الصوفية، ويعبر عنه أمثال ابن تيمية وابن القيم وابن خلدون، إذ يؤيدون الاتجاهات الصوفية المطابقة للكتاب والسنة، ويعارضون بشدة مذاهب التصوف الفلسفي عند الحلاج والسهروردي المقتول، وابن عربي، ومن سلك مسلكهم(١).

وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: (ليس ثناء أحد على هؤلاء حُجة –وهو يقصد ابن عربي وابن سبعين واتباعهما من صوفية وحدة الوجود – ولو بلغ المثني عليه ما عسى أن يبلغ من الفضل، لأن الكتاب والسنة، أبلغ فضلًا وشهادة من كل أحد.)(٢)

وبالنسبة للدراسات الحديثة عن التصوف الإسلامي، فإن الشيخ لم يغفل نقد الدراسات الاستشراقية، مبينًا أنها:

١–تفتقد التصور الكامل لجوانب الحياة الإنسانية كما يبينها الإسلام، بمعنى: (قصورٍ في إدراك طبيعة الحياة الإسلامية، لافتقادهم للعنصر الروحي لسيطرة الفلسفات المادية الغربية عليهم..)(٣)

(١) السابق: ص ١٢

(٢) شفاء السائل وتهذيب المسائل: لابن خلدون (أبوزيد عبدالرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ه) تحقيق: د. محمد مطيع الحافظ، ص ١١٠، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٧ه، ١٩٩٦م.

(٣) ابن تيمية والتصوف: ص ١٥

٢-تفتقد منهجية البحث العلمي في الكتابة عن الزهد والحياة الروحية في الإسلام، وذلك بالانصراف عن الاهتمام بــــ: (القطاع العريض الذي يتشكل من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والاكتفاء بالتقاط بعض الجوانب من حياتهم، مستقاة من مراجع متأخرة في الزمن عن عصورهم، أو لا تخلو من مطاعن من حيث النقل، فحجبوا بذلك المنهج السلفي، بل طعنوه بالتحجر والجمود، والخلو من المضمون الروحي)(١)

٣-ومن مظاهر فقدانهم لمنهجية البحث العلمي الموضوعي: (أن أغلب علماء المشرقيات الذين تصدوا لبحث التصوف لا يعتمدون على المصادر التي يقر بها شيوخ المدرسة السلفية، وإنما يتخذون من كتب متأخري الصوفية في الأغلب إلى جانب الآراء المتناثرة في التأليف التي لا تعد- بالمنظار السلفي- خالية من الشوائب)(٢)

والخلاصة المنهجية لهذا النقد هو أننا إذا أردنا أن ندرس الحياة الروحية عند السلف، أن نلتمسها في مظانها الحقيقية، من خلال: (الكتب القريبة العهد بهم، أو في المصادر التي حرصت على اتباع المنهج السلفي بأحد فروعه، أي بواسطة النقل الذي يراعي الدقة والصحة في المنقولات، من هنا كان لزامًا علينا أن نلتمسها لدى الزهاد الأوائل، إما في المؤلفات التي خصصت لهم، ككتاب الزهد لابن حنبل، أو النصوص الواردة في كتب تعد في حكم الضائعة ككتاب الزهد لعبد الله بن المبارك، التي نعثر عليها في مختلف المصادر، أو بواسطة المصادر التي عرف أصحابها بالصدق والديانة كطبقات ابن سعد..)(٣)

(١) مع الزهاد الأوائل ص ١٧
(٢) مع الزهاد الأوائل ص ١٧
(٣) مع الزهاد الأوائل ص ١٧، ١٨

المطلب الثالث: عصر النبوة والصحابة إطارًا مرجعيًا للاتباع والاقتداء.

وقد جاءت جهود الشيخ التجديدية في الموقف من قضايا التصوف والصوفية في عدة مؤلفات لهذا الغرض؛ منها كتابه: (الزهاد الأوائل دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى)(١)

ويعد هذا الكتاب استمرارًا للتقعيد للمنهج التجديدي في الدرس العَقَدِيِّ كما سبق بيانه، وفيما يخص الجانب الروحي أو الزهد قام الشيخ بتأليف هذا الكتاب، كتطبيق للمنهج المقارن بين هدي السلف في حياتهم العملية، وما يدعيه الصوفية من انسحاب وعزلة عن الحياة، لترسيخ جانب الاتباع، وترك الابتداع.

لذلك يبين الشيخ علة اختياره لموضوع هذا الكتاب، بالأسباب الآتية:

-معرفة جوانب الحياة الروحية لهؤلاء الصفوة من الزهاد، في عصر نحتاج فيه إلى طريقة الاتباع- لا الابتداع- فقد جابهوا كما نجابه اليوم الكثير من المشكلات، إذ تعرض عالم الإسلام حينذاك لغزوات ضارية عسكرية وثقافية، وتيارات معادية على مستوى العقيدة..وعاشوا في أيام اختلفت عن عصر النبي ﷺ..فآثروا المقاومة الصلبة لإبقاء الذاتية الإسلامية لمواجهة الرياح العاصفة من حولهم، وبقوا متماسكين عاضين على تعاليم الإسلام فصارت حياتهم طيبة هنية، فقام بعضهم يعارض الانحرافات التي ظهرت بظهور علم الكلام والفلسفة الإغريقية فقاوموا الزيغ في المعتقدات وجابهوا الآراء الطارئة الغريبة، كما قاوموا البدع المستحدثة في العبادات والسلوك باسم التصوف.

ويفرق الشيخ بين حديث الأوائل عن الزهد، وما تطور لدى علماء التصوف من ترتيب وتحديد للأحوال والمقامات؛ فالأوائل:لم يتقيدوا بترتيب المقامات والأحوال التي سنها المتأخرون وإنما تكلموا عن أعمال القلوب، وعن الأحوال

(١) ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

كلامًا مفصلًا جامعًا مبينًا مطلقًا من غير ترتيب ولا حصر للمقامات بعدد معلوم فإنهم كانوا أجل من هذا.

وفيما يخص هذا الكتاب (الزهاد الأوائل..) ينبه الشيخ على أمر مهم وضروري هو أن دراسة حياة الزهد لدي الأوائل، ليس معناه: إنكار الجوانب الأخرى الممتدة إليها مواهب هذه الشخصيات الفذة، فلا يسعنا تجاهل أدوار الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم– في أمور الحكم العادل والسياسة الشرعية، أو الجهاد في سبيل الله..أو الدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء محاولات الزيغ والانحراف.(١)

ومنهجية الشيخ الدكتور مصطفى حلمي في بيان هذه المسألة تعتمد على:

١- بيان منهج الزهاد الأوائل، بوصفهم يمثلون: التيار السلفي للتفسير الذوقي، والنظريات الروحية من وجهة إسلامية خالصة، محاولين إثبات صحة الرأي الذي يذهب إليه ابن تيمية، وهو اكتمال هذا المضمون لدى الأوائل.

٢-البحث المقارن في: مظاهر الاختلاف بين نظريات المدارس المختلفة في الزهد ومدى الصلة بينها وبين الأفكار والمؤثرات الخارجية إن وجدت.

٣- لم يأت الحديث عن الزهاد من شيوخ العلم والإيمان على طريقة كتابة التراجم، بل الوقوف على آرائهم في موضوع الزهد، والتنقيب على اتجاهاتهم الأخلاقية، والحرص على معرفة الأصول التي استندوا إليها في اجتهاداتهم، مع مراعاة ظروف نشأتهم، وأدوار الحياة الثقافية والاجتماعية التي تقلبوا فيها.(٢)

وفي المقارنة بين المصطلحات بين الزهاد الأوائل ومتأخري الصوفية، لا يتفق الشيخ مع من يقسم الحياة الروحية لديهم إلى مرحلتين أحداهما تطورت عن

(١) انظر: د. مصطفى حلمي سليمان: الزهاد الأوائل دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى: ص ١١

(٢) السابق: ص ١٩

الأخرى؛ حيث يذهب إلى: (عدم دقة الرأي القائل بتقسيم الحياة الروحية إلى مرحلتين: الزهد والتصوف، لأنه يفقد الدليل القاطع ويتعارض مع ما نلاحظه بسهولة من واقع كتب التراجم للمدرسة السلفية عندما يصفون شيوخهم بالزهد، فإن ابن كثير مثلًا يصف ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)..بأنه كان زاهدًا ورعًا ناسكًا على طريق السلف الصالح كما هو طريقة متأخري أكثر المحدثين)(١)

لم يكن السلوك الروحي للصحابة أمرًا خارجًا عن المألوف المأثور، ولهذا أصبحت صبغتهم إسلامية أولًا، ولم تصطبغ هذه الصورة بالمؤثرات التي اصطبغ بها فيما بعد، لقد كانت معالم الطريق الروحي عند كل منهم قائمة على رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة(٢).

الفرق بين الزهد والتصوف:

من القضايا المهمة في هذا الجانب، التفرقة بين الزهد والتصوف، حيث يؤكد الشيخ على أن المضمون الروحي عند الأوائل من السلف كان بناء متكاملًا، وانقسم بعد ذلك إلى تيارين:

أحدهما: تيار الزهد الذي ظل شيوخ السلف يتمسكون به، والذي لا يمنع اصطباغه بتأثيرات العصور المختلفة، ولكن لا يؤثر ذلك على جوهره وأصالته.

الثاني: المعبر عنه بالتصوف، فقد تضخم بالمؤثرات الأجنبية بحيث تراوح طغيانها على الطابع الإسلامي فيه قوة وضعفًا، فأدى في حالة القوة إلى التصوف الفلسفي، أو ضَعُف هذا التأثير فاتضحت المعالم الإسلامية في الظاهر ولكنها تخفي وراءها ما هو غير إسلامي، والتي تصدى لها شيوخ المدرسة السلفية بالنقد

---

(١) السابق: ص ٢٠، والبداية والنهاية لابن كثير ج١٢، ص ١٩٨

(٢) د. مصطفى حلمي: الزهاد الأوائل دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى: ص ٢٢، و انظر ابن خلدون شفاء السائل وتهذيب المسائل ص ١٩

والمعارضة.(١)

وبناء على ذلك فإن الزهد: نزعة روحية تجمع بين العلم والعمل، عمل الجوارح وعمل القلب، وما يترتب على ذلك من سلوك، وهو بذلك بناء روحي لا يعني التقشف في الحياة، بل التمسك الشامل بكل الدين علمًا وعملًا وسوكًا، فالزهاد هم: (أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة)(٢)

أما عن منهجية الشيخ في تحليل حياة السلف الأوائل بوصفهم القدوة في العلم والعمل في كتابه (الزهاد الأوائل) تبدأ بعصر بالصحابة ثم من يليهم من التابعين، وفي العصور التالية لها، مع التقيد بالشخصيات التي كان يردد أسماءها ابن تيمية، لأنهم يمثلون اتجاهات المدرسة السلفية في عصورها الأولى. وجاء ترتيب التناول بدءًا بالصحابة ثم مدرسة المدينة، ثم مدرسة مكة، ثم مدرسة الكوفة، ثم مدرسة البصرة، ثم الشام ثم بغداد،ثم خراسان، ثم اليمن.(٣)

ومن النتائج التي سجلها عن زهاد السلف من أصحاب القرون الأولى، تبين أن الزهد عندهم لا يعني التجرد من كل شيء، وارتبط الزهد بالدين واتخذ منه أسسه ومقوماته، وانبثقت الحياة الروحية والمضمون الوجداني من الإسلام نفسه، وانطلق أرباب القلوب على السجية: فمن النظر في آيات الله، ومن الاقتداء بالرسول ﷺ، عرفوا المحبة والخشية، وتقربوا إلى الله بالعبادات، وترنموا بالحديث عن الجنة ونعيمها، وأفاضوا الكلام عن الجنة وعذابها، كما سيطر عليهم الإيمان بالله، ووضعوا نُصب أعينهم هذه الإلهية التي تحكم سلوكهم، فالإكثار من العبادات للتقرب، والتقشف خشية الحساب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامة المجتمع

(١) السابق: ص ٣٢

(٢) السابق: ص ٢٧

(٣) راجع: السابق ص ٢٩، ٣٠، ٦٢، ٧٥، ١٠٢، ١١٨، ١٤٩، ١٨٧، ١٠٩

المسلم الصحيح، والجهاد لنشر كلمة الحق والعدل، والدفاع عن ديار الإسلام، وتأكيد سلطان الله تعالى في كافة الأمور[1].

يتبين من خلال هذا المبحث أن الشيخ يؤكد على أهمية الحياة الروحية في الإسلام، وأنها تمثل التفاعل الإيماني بين معطيات الوحي، والاستقبال القلبي للعقيدة، والأوامر والنواهي المكملة للشريعة، من خلال القرآن والسنة علمًا وعملًا، على منهج النبي القدوة محمد ﷺ، والجيل القدوة، السلف الصالح رضوان الله عليهم، مع رفض كل ما ابتدعه أهل الغلو من الصوفية على مستوى العقائد والأفكار والممارسات.

---

(١) انظر: د. مصطفى حلمي: الزهاد الأوائل دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى: ص ٢١٨

الخاتمـــة

أولًا: النتائج.

تبيَّن أن الشيخ التحق بالتدريس الجامعي في مرحلة طغت فيها الدراسات الكلامية والصوفية التي غَلَبَ عليها الوصف التبجيلي، دون النقد التحليلي، إما من زاوية ما رسخ في أذهان بعض الأساتذة الجامعيين من أن ذلك موضوعية في البحث العلمي، أو لنزعة ليبرالية يكمن في داخلها القول بحرية العقائد والأفكار، ومن ثم عرضها بوصفها أفكار إنسانية، دون بيان لما يجب على المسلم أن يعتقده، أو دون بيان لكيفية تكوين الإيمان الصحيح، وهذا ليس معارضة لدراسة عقائد الفرق والمذاهب، إنما المقصد أن تلك الدراسات الكلامية والصوفية لم تهتم ببناء العقيدة الصحيحة لدى الطلاب الجامعيين، وركزت على الدراسات الوصفية.

ومع التحاق الشيخ بالتدريس الجامعي أدخل نوعًا من المنهجية جديدًا على الساحة الجامعية، حيث أدخل التحليل والنقد لتلك الفرق والمذاهب الكلامية، وقارن بينها وبين منهج السلف، خلال مؤلفاته المتعددة، فوفي بالخطة الجامعية من جانب، ووفي بالمسؤولية التربوية من جانب آخر، وكان ذلك من الأسباب التي جعلتني أَصِفَه بأنه منهج في تجديد الدرس العَقَدِيِّ.

إن مؤلفات الشيخ تُعد من أهم الوثائق، أو المؤلفات التي يجب أن يهتم بها المتخصصون في دراسة وتدريس العلم الشرعي، ومعالجة ما يجده الطلاب في مراحل الطلب الأولى لعلم العقيدة، معالجة ما يجدونه من صعوبة في الاستيعاب والفهم بسبب الاعتماد على الكتب القديمة (الأمالي والحواشي والشروح)، وليس هذا تقليلًا من أهمية تلك الكتب القديمة، بل المقصد أن كتب الشيخ لسهولة عباراتها، ودقة العرض والنقد والتحليل، تصلح لتدريسها لطلاب العلم في مراحل الطلب الأولى، وكذلك للمراحل العليا بوصفها من نماذج الدرس العَقَدِيِّ المعاصر، مع

باقي جهود علماء السلف المعاصرين.

إن القصور في بيان المنهج الصحيح للاعتقاد للطلاب الجامعيين أفرز نزعات متطرفة على مستوى البعد عن الدين، وعلى مستوى الغلو في الدين وظهور التطرف الديني، بسبب خلو تلك المناهج من بيان العقيدة الوسطية السليمة، ولجوء الناشئة إلى محاضن أخرى للتعرف على العقيدة، والموقف من الآخر، فجاءت مؤلفات الشيخ على المستوى النظري، ودروسه الجامعية على المستوى العملي، لتبين وتعالج تلك النزعات المتطرفة، فانتج جيلًا من التلاميذ أنقياء في العقيدة، وسطيون في الفكر والممارسات، ولا يخفى على المتخصصين في مجال العقيدة أسباب ظهور الغلو وعلاقته بأساليب ومناهج التدريس الجامعي وعدم مراعاتها للحاجات الروحية والتربوية للإنسان المسلم.

تبين أن منهجية الشيخ أعادت التوازن في الدرس العَقَدِيِّ بين الجوانب الروحية والإدراكية الفكرية، على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، بعيدًا عن غلو المذاهب الكلامية، وشطحات الصوفية، مع اعتدال في النقد، يقوم على أساس القرآن والسنة وأنهما المصدران الأساسيان للعقيدة في الله، وللسلوك العقائدي الروحي والوجداني، وقد اتخذ هذا المنهج عند الشيخ المنحى العملي مع طلابه فأنتج مدرسة على المستوى الاجتماعي تتميز بالوسطية والاعتدال تجاه قضايا المجتمع، وكذلك أنتج جيلًا من التلاميذ أصبحوا أساتذة في الجامعات العربية، يؤدون رسالتهم التعليمية والتربوية على نفس المنهج، أساتذة ودعاة للعقيدة الصحيحة، والنقد السليم، مع توظيف لها كذلك في بناء حب الله، وحب الإسلام، وحب الأوطان، واستقرارها وسلامتها، لأن مطلب الاستقرار وحقن دماء المسلمين، والرقي بالأمم والمجمعتمات، لا يتأتى إلا بالقوة في نقد الذات من جهة، والحسم في مقاومة

الانحرافات من جهة أخرى، خاصة في تلك الأيام التي يتوجب على العلماء التآزر والتكاتف ضد كل ما يهدد استقرار البلدان والمجتمعات الإسلامية والإنسانية.

* * *

ثانيًا: التوصيات:

ومن خلال هذا البحث في تجديد الدرس العَقَدِيِّ، يدعو الباحث إلى وجوب وضرورة أن تتغير هواجس بعض الدعاة والعلماء والباحثين في الدراسات الإسلامية، الذين يظنون أن بيان الجوانب الروحية في العلاقة بين العبد وربه يؤدي إلى التصوف، أو أن بيان أهمية وسائل الإدراك ودورها في فهم النص يؤدي إلى القول بتقديم العقل على النقل،لذا فترك بيانها أفضل سدًا للذريعة !! وهذا من الهواجس التي يجب التخلص منها، ولهذا من المفترض والواجب شرعًا وعقلًا؛ على أهل السنة المعاصرين علماء ودعاة؛ بيان الطرح الإسلامي الصحيح للجانب الروحي من خلال القرآن والسنة، وعرضه في صورة جذابة مُشَوِّقة لجمهور المسلمين؛ بالعرض النقي الرائق للجانب الروحي في القرآن والسنة بعيدًا عن الانحرافات الصوفية الحلولية الاتحادية..إلخ وما يرتبط بها من بِدع مخالفة للقرآن والسنة، وكذلك بيان المعطيات الإدراكية والفكرية، في الأمر بالتفقه، والتفكر، والتدبر، والتعقل، الواردة في الكتاب والسنة.

وختامًا فإن هذا البحث مجرد محاولة، ولا أزعم أني أصبت الكمال، أو بلغت مبلغ الوفاء التام، لكنها محاولة، وأسأل الله أن تضاف إليها محاولات أفضل منها، وكذلك أنبه على أن هذا البحث ليس دراسة لكل المشروع العلمي للشيخ، حيث اقتصرت فيه على دراسة جانب الدرس العَقَدِيِّ عنده، فهو حلقة من حلقات كتاب شامل، لمنهجه في التجديد؛ منها منهجه في الدرس الفلسفي، ومنهجه في الدرس الاستشراقي، ومنهجه في الدرس للفكر الغربي ونقد المدارس الفكرية المعاصرة في العالم العربي، نطمح أن تصدر في وقت قريب بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم المصادر والمراجع[1]

*** ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: (ت ٧٢٨هـ)**

-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. بمساعدة ابنه محمد-المكتب التعليمي السعودي بالمغرب-د. ت.

***رؤوف عباس أحمد: (دكتور)**

-تاريخ جامعة القاهرة، القاهرة، دت.

***عامر النجار: (دكتور)**

- الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، القاهرة، دت.

***عبدالفتاح أحمد الفاوي: (دكتور)**

-التصوف الوجه والوجه الآخر معه تحقيق كتاب أصول الملامتية وغلطات الصوفية لأبي عبدالرحمن السُّلَمي (٤١٢ه)، ط١، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٤م، وط٢، ١٩٩٥م.

***عبدالرحمن بدوي (١٩١٧-٢٠٠٢م): (دكتور)**

-الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، طُبع في القاهرة ١٩٤٧م، وفي وكالة المطبوعات بالكويت، ودار القلم ببيروت، عام ١٤٠٣ه، ١٩٨٢م

- شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م

***علي سامي النشار: (دكتور)**

-نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٨، دار المعارف القاهرة، ثلاث مجلدات (الأول: الفكر الفلسفي والكلامي، والثاني نشأة التشيع وتطوره. والثالث: الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين)

---

(١) راعيت فيها الترتيب الألفبائي، حسب أسماء المؤلفين، مع مراعاة البدء باسم الشهرة مع عدم اعتبار (ابن او أبو أو أل) بالنسبة لأسماء العلماء القدامى، والاسم كما هو بالنسبة للمؤلفين المعاصرين.

*محمد السيد الجليند: (دكتور)
-قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، ط٤، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٢م.
*محمد مصطفى حلمي(١٩٠٤-١٩٦٩م): (دكتور)
- الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م
- ابن الفارض والحب الإلهي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
*محمد سعيد القحطاني:
-الإعلام بنقد كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام ١٤١٢ه.
*مفرح بن سليمان القويسي: (دكتور)
- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، دار الفضيلة، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٢م
*مصطفى محمد حلمي سليمان: (دكتور)
-منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين (ط٢، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٢م)
-السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية (ط١، دار الدعوة، الإسكندرية،١٤٠٣ه،١٩٨٤م)
-قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي (ط١، ١٤١١ه، ١٩٩١م- ط٢، ١٤١٣ه،١٩٩٢م، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، بتقديم الشيخ محمد إسماعيل
-ابن تيمية والتصوف (ط٢، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٢م)
-أعمال القلوب بين علماء أهل السنة والصوفية (دار الدعوة، الإسكندرية، د ت)
-الزهاد الأوائل دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى (ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٠ه، ١٩٧٩م)

-بحوث في العقيدة الإسلامية، ص ١٠، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٤٠٥ه، ١٩٨٥م.

-تحقيق كتاب: (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م)

-الإسلام والمذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م)

-الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي (ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٩٧م)

- الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٤م)

-الحضارة الإسلامية حضارة سلام لا إرهاب (ط١، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٤٧٣ه، ٢٠١٦م)

-الإسلام والأديان دراسة مقارنة (ط١، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١١ه، ١٩٩٠م)

-المنهج السلفي لا الحداثة طريق النهضة، ص ٢٠ وما بعدها، ط١، دار العقيدة، القاهرة، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م

-نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة (تقديم الشيخ: محمد أحمد إسماعيل المقدم، ط٢، دار المؤيد، الرياض، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م)

- تحقيق كتاب: (غياث الأمم في التياث الظُّلَم) لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨ه) (دار الدعوة الإسكندرية، بدون تاريخ) بالاشتراك مع د.فؤاد عبدالمنعم أحمد.

-مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب (ط١، دار

الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٣٦ه، ٢٠٠٥م)

***محمد كمال جعفر: (دكتور)**

-التصوف طريقة وتجربة ومذهبًا، دار المعارف، القاهرة، د ت.

***محمود قاسم: (دكتور)**

-دراسات في تصوف محيي الدين بن عربي، القاهرة، ١٩٧١م

***ابن الوزير(محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ت ٨٤٠ه):**

- الروض الباسم في الذب سنة أبي القاسم، المطبعة السلفية، القاهرة، د ت.

- البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع، تحقيق: مصطفى عبدالكريم الخطيب، ط١، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤٠٩ه، ١٩٨٨م.

***

فهرس الموضوعات